

من مطبوعات مكتبة العلم :

فضائل الصوفية

تأليف
عبد الرحمن عبد الخالق

مكتبة العلم

أش. الشيخ علي الغاياتي - خلف مسج. الجمهورية - القاهرة ت : ٣٩٠٩٨٣٩



تطهير الجنان والأركان

عن
درن الشرك والكفران

تأليف
أحمد بن محمد آل بوطامي
الشافعي السلفي

طبعة مزيدة ومحقة الأحاديث

مكتبة العلم

أش. الشيخ علي الغاياتي - خلف مسج. الجمهورية - القاهرة
ت : ٣٩٠٩٨٣٩

تَطَهَّرُ الْجَنَانُ وَالْأَرْكَانُ

عَنْ
دَرَنَ الشِّرْكَ وَالْكُفْرَانِ

تأليف

أحمد بن محمد آل بوطامي

الشافعي السلفي

مكتبة العلم

في البيع على الخلاء خلف مسجد الجمهورية القاهرة

ت : ٩٨٣٩

مقدمة الناشر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من
شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن
يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد

فإنه مما يسر مكتبة العلم أن تنشر هذا الكتيب المفيد فهو على
صغر حجمه قد جمع للمسلم أهم ما يجب عليه أن يعرفه من أمور
التوحيد والعبادة الحق لله - سبحانه وتعالى - ورَدَّ على أشهر
شبهات القبوريين والمبتدعة من الصوفية ومن على شاكلتهم مع
ذكر الأدلة من الكتاب والسنة .

ولمزيد من إفادة القارئ رأيت أن أذكر درجة الأحاديث التي
في غير الصحيحين حتى يعلم القارئ الصحيح من الضعيف وكما
يقول أهل العلم دائماً « إن في الصحيح لغنية عن الضعيف »
معتمداً في ذلك على تحقيقات محدث العصر الشيخ محمد ناصر
الدين الألباني حفظه الله .

مكتبة العلم



إلى الشيخ على الدياني - حفظه الله - في القاهرة : ٢٩٠٩٨٣٩ ت

وحيث لم أجد - فيما بحثت عن - تحقيق حديث « إنه لا يستغاث في وإنما يستغاث بالله » في كتب الشيخ الألباني المطبوعة سألت عنه شيخنا عطاء بن عبد اللطيف حفظه الله فأفادني بمجمل التخريج المذكور في ص (٣٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة العاشرة

الحمد لله رب العالمين القائل : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣] والصلاة والسلام على أفضل داعٍ إلى التوحيد سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فلا يخفى أن علم التوحيد هو أفضل العلوم على الإطلاق ، إذ هو الذي من أجله بعث الله الرسل وأنزل الكتب وأنه خلاصة دعوة الأنبياء وزبدة رسالة المرسلين .

هذا وقد كنت كتبت - فيما سلف - رسالة وجيزة وسميتها « تطهير الجنان عن درن الشرك والكفران » وهي على صغر حجمها قد حوت أنواع التوحيد الثلاثة ، وبرهنت بالأدلة النقلية والعقلية على تأييد محتوياتها ، كما احتوت على دحض الشبهات التي يوردها المبتدعون ، وقد طبعت والله الحمد مرات عديدة في قطر وفي الكويت وفي مصر ، وحصل عليها والله الحمد إقبال من القراء ، ولما نفذت الطبعات السابقة رغب فضيلة

وأما إذا كان الحديث في الصحيحين « البخارى ومسلم » أو أحدهما فأكتفى بالعزو إليهما فإنه معلّم بالصحة ورأيت أن اختصر في التعليق مما يتناسب مع صغر حجم الكتاب . ولقد وضعت العلامة (*) على تعليقاتي تميزا لها عن تعليقات المؤلف حفظه الله .

ولقد حاولت - بقدر جهدي - أن يخرج الكتاب في أحسن صورة رجاء المثوبة من الله وأن نيسر على المسلمين الاستفادة منه لعل الله أن يهدي به بعض عباده وأن يدخر لنا أجره ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ وأسأل الله أن يرزقني إصلاح النية إنه سميع مجيب وصلى اللهم على نبينا محمد وآله وسلم .

القاهرة في جمادى الأولى ١٤١١ هـ

الموافق ديسمبر ١٩٩٠

خطبة الكتاب

الحمد لله الذي أمرنا بالعبادة ، وبطاعته وطاعة رسوله ،
ووعدنا بالحسن مع الزيادة ، والصلاة والسلام على سيدنا
محمد ، البالغ منتهى الشرف والسيادة ، وعلى آله وأصحابه الذين
منحهم الله العزة والسعادة .

أما بعد :

فلا زال الإسلام منذ أن طلع فجره محارباً . حارب من
قريش وسائر مشركي العرب ، ومن اليهود والفرس والروم
والتتر والصليبيين ، وكتب الله النصر المؤزر للإسلام
والمسلمين ، وأذل الله المشركين والكافرين . ولكن الأعداء
- وإن خذلهم الله - مافتنوا يحيكون المؤامرات والدسائس ويشنون
دعائياتهم الضالة ضد الإسلام والمسلمين . فتعددت مقالاتهم ،
وتنوعت مذاهبهم ، وانتسب كثير منهم إلى الإسلام ، لأجل أن
تروج عقائدهم ويتم لهم القضاء على الإسلام - لاسمح الله -
ومن أشدها فتكاً ، وأخبثها دعاية ، وأكثرها رواجاً ، دعاية
المخرفين والقبوريين والصوفية المبطلين^(١) الذين لم يدخروا وسعاً

(١) لا المحققين . لأن الصوفية قسمان : قسم محققون : وهم الذين تقيّدوا بالكتاب
والسنة ، ولم يتجاوزوها ، وكل ما في الأمر أنهم غلبوا جانب الآخرة على
الدنيا ، كالجيلاني والجنيد وسهل التستري وأمثالهم . =

الشيخ عبد الله الأنصاري في إعادة طبعها ، وهو من أكبر الدعاة
إلى دين الله وإرشاد الناس إلى الطريق المستقيم ، وقد كثف
جهوده - جزاه الله خيراً - على نشر العلم بمختلف طرقه من
إرشاد ووعظ وتأليف ونشر الكتب العلمية من مختلف العلوم
وتوزيعها على المستحقين وإرسالها إلى كثير من الأمصار لأهل
العلم والكتليات والجامعات والمدارس ، فله في هذا المجال الباع
الطويل ، وذلك يرجع الفضل أولاً ، لله - سبحانه وتعالى - ثم
إلى سمو أمير البلاد - حفظه الله - الشيخ خليفة بن حمد آل
ثاني ، فإنه يذل في هذا السبيل الأموال الطائلة .

فوافقت على هذا المرام لنفع الخاص والعام ، راجياً المثوبة من
رب العالمين في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب
سليم ، وما زدت فيها على الطبقات السابقة إلا في موضعين :
الأول : نواقض الإسلام بعد أن ذكرت شروط لا إله إلا
الله .

الثاني : تعليق على حياة الأنبياء والشهداء وتفنيد شبه
الاحتجين على سماع الأموات وتصرفاتهم بعد الممات .
والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وأصحابه أجمعين .

المؤلف

١٤٠٢/١١/١٢ هـ أحمد بن حجر آل بوطامي آل بن علي
قاضى المحكمة الشرعية الأولى بدولة قطر

في نشر البدع والضلالات باسم الدين ، والدين منها برىء . كما دعوا إلى عبادة القبور وحسنوها للجماهير بشتى الأساليب ، من بناء القباب الشاهقة عليهم وتزيينها ، ووضع الستور النفيسة عليها ، لجذب الناظرين والزائرين إليها ، وأن تكون تلك القباب محل الدهشة والإعجاب . وجعلوا السدنة حولها ليطوفوا بالزائرين حول الضرائح ويعلموهم كيف يدعون الأولياء ، وينزلون بهم حاجاتهم .

ومن إختراع حكايات سمجة عن القبور ، وكرامات مختلفة لاتمت إلى الصحة بنصيب . ومن إنشاء قصائد تطفح بالاستغاثات والنداءات التي لاتصلح إلا لخالق الأرض والسموات .

ومن تأليف كتب تدعو إلى عبادة الأنبياء والصالحين سبكت في قالب حب الأنبياء والأولياء ، وأنهم هم الشفعاء لنا عند الله ، والواسطة بيننا وبينه تعالى . ويعززون كلامهم بحكايات عن الصالحين ليس لها حظ من الصدق وبأحاديث موضوعة

= وصوفية مبطلون : وهم الذين يخالفون الكتاب والسنة ، ويتعدون حدودهما ويأتون بعقائد ما أنزل الله بها من سلطان ، وبأعمال مخترعة يبرأ الكتاب والسنة المطهرة منها ، كاعتقادهم بوحدة الوجود ، واختراعهم أذكاراً واحتفالات يمتزج فيها الذكر بالرقص ، ويختلط فيها الرجال والنساء ، ويدق فيها الطبول وتنتشر فيها الأعلام ، ويأتون بمخاريق كضرب أنفسهم بالسكين والخنجر وأكل النار . اللهم اهد عبادك إلى الصراط المستقيم .

كحديث(*) : « لَوْ اعْتَقَدْتُمْ بِحَجَرٍ لَنَفَعَكُمْ » (١) وبأقيسة فاسدة .

وبما لا يدل على مطلبهم من آية أو حديث صحيح كما ستري في هذه الرسالة .

وعم هذا الداء الويل سائر الأقطار الإسلامية ، ولم يسلم منه إلا القليل من عباد الله الصالحين والعلماء العاملين الذين عرفوا التوحيد الذي جاء به الأنبياء والمرسلون .

وبعض الأقطار الإسلامية كالمملكة العربية السعودية ، بفضل دعوة علمائها المخلصين وملوكها المهتدين . فنتج من جرأ تلك الدعايات الضالة المضللة التي قام بها ونشط لها المبشرون بالضلال وعبادة غير ذى الجلال . أن انخدع بها الأكثرون ، وانصرفوا عن توحيد الإله العظيم خالق الأنام ، وتحمسوا لها ، وأخذوا يتقربون إلى قبور الأنبياء والصالحين . وتجاوز الأمر حتى تقربوا إلى الأشجار والغيران المنسوبة إليهم بأنواع النذور ، ودعائهم لكشف ضر نزل بهم ، أو طلب ولد أو رزق أو وظيفة

(*) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : لأصل له ، وقال ابن تيمية : كذب وقال ابن القيم : هو من كلام عباد الأصنام الذين يحسنون ظنهم بالأحجار .

(١) هذا الحديث صريح في الوثنية المحضة ، ينادى على قائله بأنه من أشد أعداء الإسلام ، ومن الدعاة إلى عبادة الأحجار والأوثان والأصنام .

فكيف يروج مثل هذا الحديث على أناس يزعمون أنهم من العلماء .

أو مطر ، مما ليس في قدرة أحد إلا رب العالمين ، وطافوا
بقبورهم كما يطاف بالكعبة المعظمة ، وشدوا الرجال إليهم من
الأماكن الشاسعة بقصد الحج لتلك المزارات البدعية ، وأوقفوا
الأموال الطائلة على تلك الأضرحة المقدسة عندهم حتى أنه قد
تجتمع في خزائن بعض المقبورين أموال تعد بالملايين .

ورحم الله شاعر النيل « حافظ إبراهيم » حيث قال :

أحيأؤننا لا يرزقون بدرهم
وبألف ألف ترزق الأموات
من لي بحظ النائمين بحفرة
قامت على أعتابها الصلوات
يسعى الأنعام لها ويجرى حولها
بحر النذور وثقراً الآيات
ويقال هذا الباب باب المصطفى
ووسيلة تُقضى بها الحاجات

وإنك لتجد الزحام حول تلك القبور واختلاط الرجال
بالنساء وبكاء الكثيرين وصراخهم وعويلهم ودوى أدعيتهم .

كما تجد كثيراً من مدعى العلم ومروجى الضلال يُحسنون لهم
تلك الأعمال ويحضونهم على تلك المنكرات من أجل نيل
الخطام ، ويأتى أولئك الجهال هذه الشراكيات والبدع
والضلال ، باعتقاد أنها من صميم الدين ، وأنها تقربهم إلى رب

العالمين ، لكونهم مخدوعين بدعايات أدعياء العلم ورؤساء
الضلال ، وسدنة الضرائح . والويل كل الويل لمن أنكر عليهم
وأفادهم أن هذه الأعمال ليست من الدين بشيء ، بل تنافيه ،
والدين منها برىء ، وأن الواجب عليكم أن تفردوا ربكم بهذه
العبادات التي تقتربون بها إلى هؤلاء الأموات ، الذين لا يملكون
لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً ولا حياة ولا موتاً ولا نشوراً فضلاً عن
غيرهم .

والعلماء إزاء هذه البدع والشراكيات أصناف ثلاثة :

— صنف يؤيد تلك البدع والخزعبلات ويدعو إليها ، وقد
يكتب وينشر في تأييد مذهبه ، لاسيما إذا كانت له مصلحة
مادية .

— وصنف يعرف الحق ، وأن ماعليه جمهور الناس باطل
وضلال ، لكنه يساير العامة وأشباههم ، إما رجاء ، وإما رهبة
أو جبناً ! ..

— وصنف يُنكر ذلك ويدعو الناس إلى ترك تلك المحدثات
ويرشدهم إلى التوحيد والتمسك بالنسبة المطهرة . وهؤلاء قليلون
بالنسبة لذينك النصفين .

وبالرغم من كثرة المؤلفات في هذا العصر^(١) ، من الممالك

(١) كَتَبَ علماء الدعوة النجدية رسائل عديدة في بيان التوحيد والشرك . كما
كتب الشيخ الصنعاني ، والشيخ صديق حسن خان ونفع الله بها ، ولكن لم
أجد بها بالنحو الذي رأيته وكتبته .

العربية وغيرها ، وتشور أذهان الكثيرين ، لكنهم لم يهتموا بعلم التوحيد ، لاسيما توحيد الألوهية . وقد يذكر بعضهم في ثنانيا كتابه سطرراً أو سطوراً يستهجن هذه الأعمال ويقول : ليست من الإسلام في شيء ، ولكن هذا غير كاف . ولذا رأيت أن الحاجة ماسة في وضع رسالة في بيان أقسام التوحيد ، وبسط الكلام على توحيد الألوهية ، معزراً بالأدلة من القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم الصحيحة أو الحسنة ، ودفع شبه المبتدعة ، لعل الله ينفع بها عباده .

ولكن لكثرة الشواغل لم يقو العزم حتى شرفنا الشيخ عبد الحميد البكرى السيلاني ، الداعية لتوحيد الله وإفراده بالعبادة ، والتمسك بسنة الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين ، والمحارب للبدع والمحدثات ، والزيادة في دين الإسلام .

وقد ذكر لنا الأخ المذكور أنه يلاق كثيراً من العناء والنصب في سيلان من الذين يدعوههم إلى نبذ الخرافات والبدع ، وعبادة غير الله ، وطلب منى أن أسجل له كلمة في التوحيد ، فسجلت له بالمسجل الذي معه .

فلما انتهيت من الإلقاء ، قال الشيخ عبد الحميد ، يحسن أن تكتب هذا الذي ألقيته ، ليكون كرسالة ، ثم تطبعها وتنشرها ، وعلى بحول الله وقوته أن أترجمها إلى اللغة السيلانية والمليبارية .

وقد ترجمها إلى المليبارية اخونا الفاضل محمد سليم ميران المليباري وطبعت .

فأجابه إلى ذلك ، رجاء الثواب من الملك العلام ، والنفع لسائر الأنام . فكتبت الموضوع وراجعته وهذبته ، وزدت عليه بعض الفوائد ، وعلقت عليه تعاليق موجزة ، وأصبح رسالة مفيدة ، حاوية لأقسام التوحيد ، مؤيدة بالأدلة من القرآن والسنة والأحاديث النبوية ، ودفع الشبهات البدعية ، وسميتها : « تطهير الجنان والأركان ، عن درن الشرك والكفران » .

أسأل الله العظيم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وموجباً للفوز بجنات النعيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين .

أحمد بن حجر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد :

فقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

أى لآمرهم أن يعبدونى ويفردونى بالعبادة . وهذا هو التوحيد^(١) الذى جاءت به الرسل - عليهم الصلاة والسلام - من عهد نوح إلى عهد نبينا محمد ﷺ .

أقسام التوحيد

ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

١ - توحيد الربوبية

وهو اعتقاد أن الله - سبحانه وتعالى - خالق العباد ورازقهم ، محييم ومميتهم .

(١) التوحيد : مصدر وحد يوحد . وهو لغة العلم بأن الشيء واحد واصطلاحاً : علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية ، مكتسب من أدلتها العقلية والعقلية . وشرعاً : إفراد المعبود بالعبادة ، مع اعتقاد وحدته والتضديق بها ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً .

أو نقول : إفراد الله بأفعاله ، مثل اعتقاد أنه خالق ورازق . وهذا قد أقر به المشركون السالفون ، وجميع أهل الملل من اليهود والنصارى والصابئين والمجوس . ولم ينكر هذا التوحيد إلا الدهرية فيما سلف ، والشيوعية فى زماننا .

الدليل على توحيد الربوبية :

يقال لهؤلاء الجهلاء المنكرين للرب الكريم : أنه لا يقبل ذو عقل أن يكون أثر بلا مؤثر ، وفعل بلا فاعل ، وخلق بلا خالق .

وما لاخلاف فيه أنك إذا رأيت إبرة ، أيقنت أن لها صانعاً ، فكيف بهذا الكون العظيم الذى يهر العقول ، ويحير الألباب قد وجد بلا موجد ؟! ونظم بلا منظم ، وكان كل مافيه من نجوم وغيوم ، وبروق ورعود ، وقفار وبحار ، وليل ونهار ، وظلمات وأنوار ، وأشجار وأزهار ، وجن وإنس ، ومَلَك وحيوان ، إلى أنواع لا يحصوها العد ، ولا يأتى عليها الحصر ، قد وجدت بلا موجد يخرجها من العدم !

اللهم لا يقول هذا من كان عنده مسكة من عقل ، أو ذرة من فهم .

وبالجملة : فالبراهين على ربوبيته لا يأتي عليها العد ، وصدق الله ، إذ قال : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ؟ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ؟ ﴾ ^(١) [الطور : ٣٥]

(١) تعليق :

وهم بداهة لم يخلقوا من غير شيء ، وطبعاً لم يخلقوا أنفسهم . ولم يدعى أحد منهم ولا من قبلهم أو بعدهم أنه خالق السموات والأرض . فمن الخالق إذن !

وليس هذا السؤال إلا جواب واحد ، لا يملك الإنسان إذا ترك نفسه إلا أن يجيب كإجابة المشركين ، كما أخبر الله عنهم في كتابه المجيد : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ .

أما الدهريون والشيوعيون ، ومن تلطخ بأرجاس تعاليمهم ، فإنهم يعتقدون أن وجود الإنسان والكون ومافيه ، جاء من الطبيعة ، فهي الخالقة ! مع العلم أن الطبيعة التي يؤلفونها هي هذه المخلوقات بما أودع الله فيها من خصائص وصفات ، كالسماء والأرض والشمس والكواكب والبحار والأشجار .. إلخ .

فالتبيعة كما ترى لا حياة لها ولا علم ولا سمع ولا بصر ولا قدرة ولا إرادة ولا عقل . فكيف أوجدت الإنسان وهو المتصف بهذه الصفات ! وهل يعقل أن تهب الطبيعة هذه الصفات للإنسان الذي بفضل تلك الصفات غاص أعماق البحار ، وغزا الفضاء والكواكب ، والحال أنها مجردة من كل تلك الصفات .

ومن المسلم عقلاً أن فاقد الشيء لا يعطيه . فهو لا من سخافتهم وجهلهم وعنادهم لأهل الأديان ، جمحدوا ربوبية خالق الكائنات المتصف بكل صفات =

وقوله : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر : ٦٢] .

الدليل على إقرار المشركين بتوحيد الربوبية :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، لَيَقُولُنَّ اللَّهُ . قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا

= الكمال والمنزه عن كل نقص وذهبوا إلى خالقية الطبيعة الصماء التي لا تحس ولا تعقل .

وأعتقد أن هؤلاء إنكارهم للخالق لا يتجاوز اللسان ، ولكن عناداً لأهل الأديان وليتسنى لهم استعباد الشعوب ، وسلب الإيمان منهم والأموال ، بيت هذا الكفر الصريح والإباحية الفاضحة ، والشيوعية في الأموال والأعراض . ومما يوضح بطلان معتقدتهم ورأيهم أن يقال : إن الطبيعة قد سخرت للإنسان ، فأصبح سيداً على مافي الأرض ، يبنى ويهدم ويتصرف بأجزائها كيف شاء . وهي لا تقاوم سيطرته ولا تنمرد عليه ، ولا تملك لنفسها نفعا ولا ضرراً ، فكيف تكون خالقة . فأدى صانع من البشر الذي يصنع الإبره الحقيرة - فضلاً عن الأشياء العظيمة - لا بد أن يتصف بالحياة قبل كل شيء ، ثم بالعقل والعلم والقدرة والإرادة ، حتى يتسنى له صنع مايريد . فلو حاول جاهل مع اتصافه بالحياة والعقل والإرادة أن يصنع شيئاً لما استطاع ، لكونه غير عالم .

فكيف بالطبيعة التي ليس لها من تلك الصفات شيء . وصدق الله العظيم : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَاوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ .

يَعْلَمُونَ ﴿ [لقمان : ٢٥] .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ،
أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ، وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ، وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأُمْرَ ؟ فَسَيَقُولُونَ
اللَّهُ ، فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ . فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ
الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ، فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس : ٣١ ،
٣٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف : ١٠] .
على أن الشرك مأخوذ من الشراكة ، يفيد إقرارهم بالربوبية
إلا أنهم يجعلون معه شريكاً في العبادة ، كشريكين في شيء
- مثلاً - مع أنهم ما كانوا يساوون آلهتهم بالله في كل شيء .. بل
في المحبة والخضوع ، لا في الخلق والإيجاد والنفع والضرر .

توحيد الربوبية

لا يدخل الإنسان في دين الإسلام

لتعلم أيها القارئ الكريم ، أن هذا التوحيد لا يُدْخِلُ الإنسان
في دين الإسلام ، ولا يعصم دمه وماله ، ولا ينجيهِ في الآخرة
من النار ، إلا إذا أتى معه بتوحيد الألوهية .

توحيد الألوهية :

ويقال له توحيد العبادة ، وهو إفراد الله بالعبادة ، لأنه
المستحق لأن يعبد ، لا سواه ، مهما سمت درجته وعلت
منزلته .

وهو التوحيد الذي جاءت به الرسل إلى أممهم . لأن الرسل
- عليهم السلام - جاؤوا بتقرير توحيد الربوبية الذي كانت
أممهم تعتقده ، ودعوتهم إلى توحيد الألوهية ، كما أخبر الله عنهم
في كتابه المجيد .

قال الله مخبراً عن نوح - عليه السلام - : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِتَى لَكُمْ تَذِيرٌ مُبِينٌ ، أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَمِّ ﴾ [هود : ٢٥ ، ٢٦] .

وقال عن هود : ﴿ وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ : يَا قَوْمِ
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾
[هود : ٥٠] .

وقال عن صالح : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [هود : ٦١] .

وقال الله عن شعيب : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ
يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [هود : ٨٤] .

وقال الله مخبراً عن موسى - عليه السلام - في محاجته مع

فرعون : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ إلى آخر الآيات . [الشعراء : ٢٣ ، ٢٤] .

وقال الله مخبراً عن موسى ، أنه قال لبنى إسرائيل : ﴿ قَالَ أَغْيِرَ اللَّهُ أَلْبَسَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٠] .

وقال عن عيسى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ، هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٥١] .

وأمر الله نبيه محمداً أن يقول لأهل الكتاب : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا . وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

وقال الله تعالى ، منادياً جميع البشر : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ٢١] .

وبالجملة : فالرسل كلهم بعثوا لتوحيد الألوهية ودعوة القوم إلى أفراد الله بالعبادة ، واجتناب الطواغيت والأصنام .

كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ

اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ ^(١) [النحل : ٣٦] .

فقد سمعت دعوة كل رسول لقومه ، فكان أول ما يقرع أسماع قومه : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [هود : ٥٠] .

(١) والطاغوت : مشتق من الطغيان ، وهو مجاوزة الحد ، ويطلق على الشيطان والكهان وكل ما عبد من دون الله .

وقد حده العلامة ابن القيم حداً جامعاً ، فقال : « الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده ، من معبود ، أو متبوع ، أو مطاع ، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله ، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله » . فإذا تأملت هذا التعريف ، عرفت أن حكم القانون من الطاغوت ، وأن الحاكم القانوني طاغوت . لأنه يحكم بتشريع وضعي لا يستند إلى القرآن والسنة ولا إجماع الأمة .

وقد ذكر الله في عدة آي من القرآن : أن الحكم لله ، وأن مرد النزاع إلى الله ورسوله . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [يوسف : ٤٠] وقال : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٥٠] وقال : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمَكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلَمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] وقال : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩] .

وقال : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] وآية : ﴿ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة : ٤٥] وآية : ﴿ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة : ٤٧] .

تفسير العبادة

العبادة في اللغة معناها : التذلل والخضوع ، يقال : طريق معبد أى مذل (١) .

وفي الشرع ، معنى العبادة - كما قال شيخ الإسلام هـى : طاعة الله ، بامتنال ما أمر الله به على ألسنة الرسل .

وقال أيضاً : العبادة إسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة . ١ هـ .

(١) لابد لها من ركنين أساسيين . الأول : نهاية الخضوع والذل ، والثانى : غاية المحبة .

قال شيخ الإسلام (*) - رحمه الله - بعد أن فسر العبادة بمعنى الذل مانصه :

« لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب . فهى تتضمن غاية الذل تعالى بغاية المحبة له . »

قال : « ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له ، ولهذا لا يكفى أحدهما في عبادة الله ، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شئ ، وأن الله أعظم عنده من كل شئ ، بل لا يستحق المحبة والخضوع التام إلا الله . وما أحب لغير الله فمحبة فاسدة ، وما عظم لغير الله فتعظيمه باطل . قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ، وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا ، وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ ١ هـ . من العبودية .

* يقصد بشيخ الإسلام : الإمام ابن تيمية رحمه الله :

فعلى المسلم أن يفرد ربه بجميع أنواع العبادات مخلصاً لله فيها ، وأن يأتى بها على الوجه الذى سنّه رسول الله قولاً أو عملاً .

شمول العبادة للأنواع الآتية

واعلم أن العبادة تشمل الصلاة ، والطواف ، والحج ، والصوم ، والنذر ، والإعتكاف ، والذبح ، والسجود ، والركوع ، والخوف ، والرغبة ، والرغبة ، والخشية ، والتوكل ، والإستغاثة ، والرجاء ، إلى غير ذلك من أنواع العبادات التى شرعها الله فى قرآنه المجيد ، أو شرعها رسول الله بالسنة الصحيحة القولية أو العملية .

فمن صرف شيئاً منها لغير الله يكون مشركاً ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ، فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ . إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١٧] .

وقوله : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾ [الجن : ١٨] .

فأحد جاءت نكرة فى سياق النهى ، تعم كل مخلوق ، رسولاً كان أو ملكاً أو صالحاً .

أول حدوث الشرك :

إذا ثبت هذا ، فاعلم أن أول ما حدث الشرك في قوم نوح ، ولما أرسل الله إليهم نوحاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة تلك الأصنام ، عاندوا وأصروا على شركهم ، وقابلوا نوحاً بالكفر والتكذيب . وقالوا : كما في القرآن الكريم : ﴿ لَا تَذَرُنْ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنْ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح : ٢٣] .

في الصحيح^(*) عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - في هذه الآية ، قال : هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً^(٢) أى صورهم على صور أولئك الصالحين وسموها بأسمائهم ففعلوا ، ولم تُعْبَدْ حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عُبدت » .

قال الحافظ ابن القيم - رحمه الله - : « قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم » .

(*) راجع صحيح البخارى كتاب التفسير في تفسير سورة ﴿ إنا أرسلنا ﴾ (١٩٩/٦) طبعة الشعب .

(٢) أنصاب : جمع نصب ، وأصله مانصب ، كفرض ونحوه ، والمراد هنا : الأصنام المصورة على صورهم ، المنصوبة في مجالسهم .

سبب الشرك الغلو في الصالحين :

ومن هنا نعلم أن الشرك إنما حدث في بنى آدم بسبب الغلو في الصالحين .

ومعنى الغلو : الإفراط بالتعظيم بالقول والاعتقاد . ولهذا قال الله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ، وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ، إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ﴾ [النساء : ١٧١] .

أى لا تفرطوا في تعظيمه حتى ترفعوه عن منزلته التي أنزله الله ، فتنزله المنزلة التي لا تنبغى إلا لله .

ولهذا ورد الحديث الصحيح^(*) عن عمر بن الخطاب ، أن رسول الله - ﷺ - قال : « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله » .

أى لا تتجاوزوا الحد في مدحى ، فتنزلى فوق منزلتى التى أنزلنى الله بها ، كما غلت النصارى في عيسى فادعوا فيه الألوهية .

ولكن أى الجاهلون والخرافون إلا مخالفة أمر رسول الله ، وارتكاب نهيه ، فناقضوه أعظم مناقضة ، وضاهموا النصارى في

(*) أخرجه البخارى .

غلوهم وشركهم ، وبنوا القباب^(١) والمساجد على أضرحة الأولياء والصالحين ، وصلوا فيها - وإن كان لله - لكن بقصد التعظيم للمقبورين ، وطاقوا بقبورهم ، واستغاثوا بهم في كشف الملمات وقضاء الحاجات ، ورأوا أن الصلاة في أضرحة الأولياء أفضل من الصلاة في المساجد .

وقد ورد في الحديث عن عائشة ، عن النبي - ﷺ - قالت : « لما نُزِلَ^(١) برسول الله صلى الله عليه وسلم - طفق^(٢) يطرح خميصة^(٣) له على وجهه ، فإذا اغتم^(٤) بها كشفها ، فقال - وهو كذلك : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ، يُحَذِّرُ ماصنعوا^(١) ، ولولا ذلك أبرد قبره ، غير أنه حُشِيَ أن يُتَّخَذَ مسجداً^(٢) » أخرجه

(١) قلت في منظومتي « اللآلئ السنية » :

عبد الأكثر منهم صالحاً
ونبيلاً وولياً شهيراً
كل قطر عندهم معبودهم
أشركوه بالذي قد فطره
وقباباً فوقهم قد أسسوا
خالفوا المختار فيمما حذروا
كم حديث ثابت قد وردا
قد نبى الأمم سنة مما صدرا
وأبىو الهياج هذاك التقى
عن على المرتضى قد أخبرا
طمس تمسحاً لقال وقبر مشرف
هدمهم به يروى ، وذا قد حررا
وذو العلم بذنا قد حكموا
راجع الكتب تجد ماسطراً

(١) نزل : بضم النون وكسر الزاي ، ميني لما لم يسم فاعله ، أى نزل به ملك الموت .

(٢) طفق بكسر الفاء وفتحها ، والكسر أفصح ، كما جاء في القرآن الكريم : ﴿ وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾ ومعناه : جعل .

(٣) خميصة : بفتح الخاء : كساء له أعلام .

(٤) إذا اغتم بها كشفها : أى إذا احتبس نفسه عن الخروج كشفها عن وجهه .

(١) يحذر ماصنعوا : هذا من كلام عائشة رضى الله عنها .

(٢) لعنهم النبي - ﷺ - على هذا الفعل بعينه ، وهو إتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد . أى كنائس وبيع يتعبدون ويسجدون فيها لله ، وإن لم يسموها مساجد ، فإن الاعتبار بالمعنى لا بالإسم ، فإنها هى المساجد الملعون من بناها على قبورهم ، وإن لم يسمها من بناها مساجد . وفيه رد على من أجاز البناء على قبور العلماء والصالحين تمييزاً لهم عن غيرهم . فإذا كان - ﷺ - لعن من بنى المساجد على قبور الأنبياء فكيف بمن بناها على قبور غيرهم . أ هـ .

(من تيسير العزيز الحميد)

الشيخان(*) .

وجرى منهم الغلو في الشعر والنثر ما يطول عده ، حتى جَوَّزُوا الاستغاثَةَ بالرسول وسائر الصالحين ، في كل ما يستغاث فيه بالله ، ونسبوا إليه علم الغيب !! حتى قال بعض الغلاة : لم يفارق الرسول الدنيا حتى علم ما كان وما يكون !! ، وخالفوا صريح القرآن : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤] .

وقال تعالى مخبراً عن رسوله : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتَ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] .

وقوله : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبِ

إِلَّا اللَّهُ ﴾ (١) . [التل : ٦٥] .

وإذا علمتم أن الشرك حدث بسبب الغلو في الصالحين ، وأنه إنما جاءت الرسل من أولهم إلى آخرهم يدعون العباد إلى إفراء الله بالعبادة ، لا إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه ، إذ هم مقرون بذلك ، كما قررناه وكررناه .

ولذا قالوا : ﴿ أَجِئْنَا لَتَعْبُدَ اللَّهَ وَخُذْهُ وَنَذَرُ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ [الأعراف : ٧٠] ، أى لنفردة بالعبادة ونخصه بها من دون آلهتنا .

أنواع العبادة وأدلتها

اعلموا أن من أنواع العبادة - كما سبق - الركوع ، والسجود ، والطواف ، والنذر ، والذبح ، والاستغاثَة ، والاستعانة ، والحلف ، والتوكل ، إلى غير ذلك مما مر . فدليل الركوع والسجود قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج : ٧٧] .

(١) وهذه الآية كما ترى انفرداه بعلم الغيب ، وأنه لا يعلمه سواه ، ولذلك قالت عائشة - رضى الله عنها - : (من زعم أن محمداً يعلم الغيب فقد أعظم القرية على الله) . وكونه - ﷺ - أخبر ببعض المغيبات فهو من القرية وحى الله له .

(*) الحديث رواه البخارى ومسلم وأبو عوانة والنسائى ولما زيد من التفصيل في التخرىج وقمه هذا الحديث راجع كتاب « تحذير الساجد من إتخاذ القبور مساجد » ص ١٢ لمحدث العصر الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى .

ودليل الصلاة والذبح قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣] .

وقوله : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر : ٢ ، ٣] .

وللحديث الصحيح : « لَعَنَّ اللَّهَ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ » (*) .

ودليل النذر والطواف^(١) وقوله تعالى : ﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ، وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٩] .

(*) رواه أحمد ومسلم وغيرهما .

(١) أى لا يندروا لغير الله ولا يطوفوا بغير البيت العتيق ، فلا يجوز النذر للأولياء ولا الصالحين ، ولا الطواف بقبورهم كما يفعله الجاهلون بغير الجيلاى والحسين والبدوى والدسوق وغيرهم ، فإن هذا شرك لامراء فيه . وكثير من المتبعين الجاهلين المخرفين ينذر للصالحين ، وبعضهم يرسل أموالاً من بلدان الخليج العربى لقبور الأولياء - بزعمهم - فى إيران ، للسنة ولتعمير القباب !!

كما يفعل ذلك كثير من الهنود والباكستانيين ، بنذرهم لعبد القادر الجيلاى أمولاً طائلة ، وإرسالهم إلى ضريحه أمولاً وافرة ، هذا من زعم أنه من أهل السنة .

وأما شيعة الهنود والباكستانيين والإيرانيين ، فإنهم ينذرون أمولاً لقبور أهل البيت فى النجف وكربلاء ، وخراسان وقم ، ويشدون الرجال من مختلف الأقطار إلى تلك القبور ، للطواف بها ، والاستغاثة بساكنها ، وطلب =

= قضاء الحاجات ، وتفريخ الكربات ، مما لا يقدر عليه إلا خالق الأرض والسموات .

وكما لا يجوز النذر لقبور الأولياء والصالحين ، فكذا لا يجوز الوقف من بيوت وعقار على قبورهم ، فمن نذر لغير الله فلا يجب عليه الوفاء ، بل يستغفر الله ويتوب إليه . ويأتى بالشهادتين ، لأنه مرتد إن علم أن النذر لغير الله شرك .

ومن وقف عقاراً أو حيواناً على قبور الأولياء ، فوقفه باطل أو وصى لها . فوصيته باطلة ، وذلك العقار أو الحيوان لا زال على ملك صاحبه ، نسأل الله لنا ولهم الهداية والتوفيق .

وقول بعضهم : أن النذر لله والثواب للولى ، كلام باطل وضلال عاطل ، فأى شئ أدخل الولى هنا ، إن كان قصده الصدقة فليتصدق على الفقراء عن نفسه وعن أبويه وأقاربه . وما يديره بأن صاحب هذا القبر ولى !! والأمور بخواتمها . فقد يكون ظاهره صديقاً وباطنه زنديقاً .

ويظهر كذبهم وضلالهم أنهم يأخذون الأغنام ويذبحونها عند القبر ، فإذا أكرت عليهم قالوا الذبح لله والثواب للولى ، وليس القصد من هذا إلا التلبس وقلب الحقائق ، وهم لم يقصدوا إلا الولى .

على أن العلماء قد صرحوا : أن لا يُذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله ، للحديث عن ثابت بن الضحاك قال : نذر رجل أن ينحر ابلاً ببوانه ، فسأل النبى - ﷺ - فقال : « هل كان فيه وثن من أولئان الجاهلية يعبد ؟ » قالوا : لا . فقال رسول الله : « أوف بنذرک ، فإنه لا وفاء لنذر فى معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم » رواه أبو داود .

ودليل الحلف ، الحديث الوارد(*) عن ابن عمر - رضى الله عنه - عن النبي - ﷺ - : « من حلف بغير الله فقد أشرك » . وفى لفظ . « فقد كفر » .

ودليل الاستعانة ، قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] .

والحديث الصحيح(**) عن رسول الله - ﷺ - : « إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله » .

ودليل الخوف ، قوله تعالى : ﴿ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] .

ودليل التوكل ، قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٢٣] .

ودليل الرهبة ، قوله تعالى : ﴿ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [النحل : ٥١] .

(*) حديث صحيح : رواه أحمد والترمذى والحاكم عن ابن عمر وصححه الألبانى فى (إرواء الغليل) حديث رقم (٢٥٦١) (١٨٩/٨) .

(**) حديث صحيح : أخرجه أحمد والترمذى ، وقد صححه الألبانى فى تخرىج كتاب السنة لابن أبى عاصم برقم (٣١٦ ، ٣١٨) وللحافظ ابن رجب الحنبلى شرح نفيس عليه اسمه (نور الإقتباس فى مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس رضى الله عنهما) .

ودليل الاستغاثة ، قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ، فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَاً مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس : ١٠٦] .

وهذا خطاب للرسول - ﷺ - كما ترى أى لاتدع يا محمد من دون معبودك وخالقك شيئاً لاينفعك فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ولا يضرّك فى دين ولا دنيا - يعنى بذلك الآلهة والأصنام - فإن فعلت : فدعوتها من دون الله ، فإنك إذاً من الظالمين ، أى المشركين بالله . والرسول - ﷺ - معصوم من الشرك ومن كبائر الذنوب^(١) ، وإنما هذا تعليم للأمة .

وقوله : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِذْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ [يونس : ١٠٧] .

وقوله : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ، وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [الأحقاف : ٥ ، ٦] .

والمستغيث بالرسول إنما ينادى ويدعو غير الله ، كأن يستغيث قائلاً : يا رسول الله أنقذنى من هذه الشدة ، أو يا عبد القادر ، أو يادسوق ، أو يارفاعى ، أو يابدى .. إلخ .

(١) قبل : ومن صغائرهما أيضاً .

ولا ريب أن المستغيث بغير الله داخل في هذه الآية وأمثالها .
وكيف يستغيث العاقل المؤمن بغير الله ، وهو يقرأ هذه
الآيات أو يسمعها ؟!

ومنها قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ،
وَيَكْشِفُ السُّوءَ ، وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ، أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ ؟
قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ ^(١) [التمل : ٦٢] .

(١) قال العبادى فى منظومته « هداية المريـد » :

ومـن يـقـل غير الإله يملك
ضرأً ونفعأً فهو أيضاً مشرك
ومـن ينادى ميتأً أو غائبأً
ويرتجيه راغبأً وراهبأً
لدفـع ضر أو حصول نفع
فذاك شرك عند أهل الشرع
كمـن ينادى مستغيثأً بأحد
أو مستعينأً أو رجاء منه الولد
إذ ذاك فى العبادة ليس يقدر
عليه إلا الواحد المقتدر
وكل ما استحال فى العبادات
كطلب الأحياء من الأموات
فلـم يجز لمسلم أن يفعل
وأنكسر الشرع على من فعله
فمأ لكم يامعشر الجهال =

بين الله فى هذه الآية ، أن المشركين من العرب ونحوهم كانوا
يعلمون أنه لا يجب المضطر ويكشف السوء إلا الله وحده ،
فذكر ذلك محتجاً عليهم فى اتخاذهم الشفعاء من دونه ، ولهذا
قال : ﴿ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ ﴾ بالاستفهام الإنكارى ، أى ليس إله
مع الله يجيب المضطر ويكشف السوء .

= تدعون غير الله ذى الجلال
فى جلب نفع أو لدفع ضر
أو برء سقم وارتفع شر
من ليس يغنى نفسه من ضرها
ولم يطق إنقاذها من فقرها
وتستمدون من الأموات
تيسير عسر وقضا الحاجات
ألم تروا أن الدعاء عبادة
لا يمتري فيه ذوو الشهادة
فمن دعا غير الإله أحدا
بمنحه الخير ويكفيه البردى
فإنه لمن دعاه عابده
سواء الجاهل والمعانده
وفى ثبوت النهى فى الكتاب
دلائل لمتغى الصواب
يكفى أن الله قال ادعوني
كمشـل ما قد قال فاعبدوني

وروى الطبراني بإسناده : أنه كان في زمن النبي - ﷺ - منافق يؤذى المؤمنين ، فقال بعضهم : قوموا بنا نَسْتِغِثْ برسول الله - ﷺ - من هذا المنافق ، فقال النبي - ﷺ - : « إنه لا يستغاث بي ، وإنما يستغاث بالله » (*) .

الركوع والسجود والنذر لغير الله

فمن ركع أو سَجَدَ لِحَيٍّ أو لِمَيْتٍ ، أو تَذَرَّ لغير الله ، كأن ينذر لقبور الأولياء أو الصالحين ، أو يذبح لهم ، أو للأشجار أو للعيون .

(*) إسناده ضعيف :

لأن في إسناده ابن لهيعة وقد ساء حفظه بعد إحتراق كتبه وهذا الحديث من رواية سعيد بن كثير بن عفير عنه وليس ممن روى عنه قديماً .

وابن لهيعة أيضاً موصوف بالتدليس وقد عنعن .

وأيضاً فقد اضطرب في لفظه فقد رواه أحمد (٣١٧/٥) وفيه : « لا يقام لي إنما يقام لله تبارك وتعالى » وهذا اللفظ يختلف في معناه عن الأول .

وأسناده ضعيف أيضاً لأن فيه رواية لم يُسم وهو من رواية موسى بن داود عن ابن لهيعة ولم يرو عنه قديماً .

والإضطراب علة في الحديث فيزداد ضعفاً إلى ضعفه [نقلنا هذا التخريج من خط شيخنا عطاء بن عبد اللطيف حفظه الله] .

أو يطوف بقبر نبي أو ولي . كأن يطوف بقبر الرسول أو بقبر عليّ بن أبي طالب ، أو بقبر الحسين أو الحسن ، أو عليّ بن موسى الرضا ، أو عبد القادر الجيلاني ، أو البدوي ، أو الرفاعي أو غيرهم .

أو يستغيث بهم في الشدائد ، كأن يقول : يا رسول الله أنقذني ، يا رسول الله فرج عني هذا الكرب . المدد يا عبد القادر يا جيلاني ، أو يطلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله ، كأن يطلب عافية من مرض له أو لغيره ، أو قدوم غائب ، أو يرزقه ولداً ، أو يأتي له برزق ، أو يفرج عنه شدة وكربة ، أو نحو ذلك من الأمور التي ليست في قدرة المخلوق أن يفعلها . فإنه يكون بكل فعل من هذه الأفعال مشركاً بالله العظيم^(١) شركاً أكبر ، لا يغفر الله له إلا أن يتوب . لقوله تعالى :

(١) قال شيخ الإسلام : الشرك نوعان : أكبر وأصغر . فمن خلص منها وجبت له الجنة ، ومن مات على الأكبر وجبت له النار ، ومن خلص من الأكبر وحصل له بعض الأصغر ، مع حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة . ومن خلص من الأكبر ولكن كثر الأصغر حتى رجحت به سيئاته دخل النار . فالشرك يؤاخذ به العبد إذا كان أكبر ، أو كان كثيراً أصغر ، والأصغر القليل في جانب الإخلاص الكثير لا يؤاخذ به . اهـ (من تيسير العزيز الحميد) . فالشرك الأكبر ، كالسجود والنذر لغير الله ، والأصغر كالرياء والخلف بغير الله - إذا لم يقصد تعظيم المخلوق كتعظيم الله :

فتنة الشرك وما من فتنة مثلهما بين البرايا توجسده =

الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿ [المائدة : ١١٦ ، ١١٧] .

فانظروا كيف يتبرأ المسيح من عباده المسيحيين ، ويقول : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ، أَنْ اْعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ [المائدة : ١١٧] .

والله يعلم أن المسيح لم يأمر بعبادته ، ولا يرضى بذلك ولكن يريد الله من هذه الآيات أن يبين للناس أن عبادة المسيح الذي هو من الأنبياء المرسلين لا تجوز . بل ويكون شركاً . فكيف بعبادة غيره من الأولياء ، ومن الأشجار ، ومن الغيران والكهوف !! ألم يسمع هؤلاء الضالون قول الله مخاطباً لسيد العالمين : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ [يونس : ١٠٧] .

فإذا كان الضرّ النازل بالرسول لا يستطيع أن يدفعه ، فكيف يستطيع الرسول وأولى من هو دونه أن يدفع ضراً نزل بغيره ؟!

ألم يسمع هؤلاء قول الله العظيم : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُتَّخَذُوا الْمَلَكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا ، أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٠] .

ألم ينع على اليهود والنصارى باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، كما قال تعالى :

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ، وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣١] .

(١) روى الإمام أحمد والترمذى وحسنه ، عن عدى بن حاتم ، أنه سمع النبي ﷺ - يقرأ هذه الآية ، فقلت له : أنا لسنا نعبدهم ، قال : « أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ! ويحلون ما حرم الله فتحلونه ! » فقلت : بلى ، قال : « فذلك عبادتهم » .

فأنت ترى أن الحديث يصرح أن عبادة الأحبار والرهبان هي طاعتهم في تحريم الحلال ، وتحليل الحرام ، وهو طاعتهم في خلاف حكم الله ورسوله . قال شيخ الإسلام : ما معناه مختصراً : إن هؤلاء المقلدين الذين اتخذوا الأحبار أرباباً في تحليل ما حرم الله . وعكسه ، يكونون على وجهين : أحدهما : يعلمون أن الأحبار والرهبان قد بدلوا دين الله فيتعونهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله وعكسه ، إتباعاً لرؤسائهم ، فهذا كفر . وقد جعله الله ورسوله شركاً ، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون .

الثاني : يعتقدون تحريم الحرام وعكسه ، لكن أطاعوهم في معصية الله ، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي ، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب . اهـ . ومثل هؤلاء ، المقلدون للمجتهدين ، الذين يخالفون آي القرآن ونص الحديث الصحيح الآق بخلاف مذهبهم ، فيمجدون على المذهب ويتصنعون له بحجة أن صاحب المذهب أعلم منا والمتخذلق منهم يؤول الآية على حسب أهوائه ومذهبه ، ويرد الحديث بعلله لم يصح عند إمامنا ، أو لعل له ناسخاً أو مخصصاً لا نعلمه ، ونحو ذلك من الأعذار الواهية والشبهات الداحضة ، وأين هؤلاء من هذه الآية الشريفة ، ومن قوله تعالى : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَهُكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ، قَلِيلًا =

الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وجهل الكثيرين به

فالواجب على كل مسلم أن يميز الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، لأنه قد أخطأ فيهما كثير من العلماء ، فضلاً عن الجهلاء .

وذلك أن أولئك المخطئين فسروا كلمة (الإله) بالقادر على الاختراع ، أو الخالق ، أو المالك .

والحال أن الأمر ليس كذلك . بل الإله يطلق على كل معبود بحق أو باطل^(١) ، ولهذا لما قال الرسول - ﷺ - لمشركي

= ما تذكرون ﴿ [الأعراف : ٢] ومن قوله : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩] .

على أن الأئمة - رحمهم الله - هم الفضل في تدوين العلوم ، ومكانتهم لا تخفى ، وقد نبهوا عن تقليدهم وتقليد غيرهم ، وليس كلامنا في العاجز ، أو من لم يظهر له الدليل ، فإن هذا لا بأس له أن يقلد ، وإنما كلامنا فيمن حوى من العلوم ما يمكنه من فهم الآيات والأحاديث ، أو ظهر له الدليل بخلاف المذهب وإن لم يحو من العلم شيئاً كثيراً ، فإن مثل هذا لا عذر له في ترك النص والأخذ بالتقليد .

(١) هذا أصل وضعه في اللغة ، ثم غلب على المعبود بحق .

قريش : « قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب ، وتدين لكم بها العجم »^(*) .

قالوا : ﴿ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَانطَلِقِ الْمَلَأَ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ ، إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ، مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ، إِنْ هَذَا إِلَّا خُبْرًا ﴾ [ص : ٥ ، ٦ ، ٧] .

وأما لفظ الجلالة ، فلا يطلق إلا على الله العظيم ، فمشركو العرب كانوا أعرف بمعنى الإله من مشركي زماننا ..

والبلية كل البلية ، والجهل كل الجهل ، أن الكثيرين ممن ينطقون بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، لا يعرفون معنى هاتين الكلمتين !! .

(*) صحيح :

قال الشيخ الألباني في كتابه في الرد على البوطي مانصه : « هذا الحديث قد أخرجه الإمام أحمد في « المسند » (٤٩٢/٣) ، (٦٣/٤) ، (٣٤١) ، (٣٧٦/٥) والبيهقي بأسانيد عن غير واحد من الصحابة ، وأحدهما عند ابن اسحاق في « السيرة » (٦٤/٢ - ٦٥) بنحوه وأحد إسنادي أحمد صحيح ، وأخرجه البيهقي أيضاً كما في « البداية » (١٣٩/٣) ، وطرفه الأول له شاهد في « المستدرک » (٦٢٤/٢) من حديث جابر مطولاً وصححه ووافقه الذهبي » .

معنى لا إله إلا الله (١)

فلو عرفوا أن معنى (لا إله إلا الله) أى لا معبود بحق في الوجود إلا الله .

فلا إله : نفى لجميع المعبودات الباطلة .

والإله : إثبات للمعبود الحق جل جلاله .

ولو عرفوا هذا المعنى ، وعرفوا أن ما يأتون به لأوليائهم وسادتهم وقبور صالحهم ، من الذبح أو النذر لهم ، أو التبرك بتراب قبورهم ، أو الصلاة إليهم ، أو الطواف بأضرحتهم ، أو طلب قضاء حاجة منهم ، تأليه لأولئك الصالحين . والإلهية لا تصلح إلا لله .

(١) شروط لا إله إلا الله السبعة :

١ - العلم المناق للجهل ، فمن لم يعرف المعنى فهو جاهل بمدلولها . ومعناها البراءة من كل ما يعبد من دون الله . وإخلاص العبادة لله وحده .

٢ - اليقين المناق للشك ، لأن من الناس من يقولها وهو شك فيما دلت عليه من معناها .

٣ - الإخلاص المناق للشرك ، فإن من لم يخلص أعماله كلها لله فهو مشرك شركاً ينافي الإخلاص ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴾ [الزمر : ١١] .

٤ - الصدق المناق للنفاق : لأن المنافقين يقولونها ، ولكنهم لم يطابق قولهم =

لعلموا أن هذا شرك أكبر ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة : ٧٢] .

وإذ ذكرت للقارىء شروط لا إله إلا الله - ولا إله إلا الله - وهى كلمة التقوى ومفتاح الإسلام ومفتاح الجنة دار السلام - .

= مافى جنابهم فصار قولهم كذباً ، مخالفة الظاهر للباطن ، كما أخبر عنهم ﴿ يَقُولُونَ بِالْإِسْلَامِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [الفتح : ١١] .

٥ - القبول المناق للرد : لأن في الناس من يقولها مع معرفة معناها ، لكن لا يقبل من دعاه إليها ، إما كبراً وإما حسداً ، أو غير ذلك من الأسباب .

٦ - الإنقياد المناق للترك : ويحصل الإنقياد بالعمل بما فرضه الله ، وترك ما حرم الله ، والتمسك بذلك . لأن الإسلام حقيقته أن يسلم العبد بقلبه وجوارحه لله ، وينقاد له بالتوحيد والطاعة ، كما قال الله : ﴿ وَمَنْ يَسْلَمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ [لقمان : ٢٢] .

٧ - المحبة المناق لردّها : فلا يحصل لقائلها معرفة وقبول إلا بالمحبة ، لما دلت عليه من الإخلاص المناق للشرك ، « فمن أحب الله أحب دينه ، ومن لا فلا » اهـ (ملخصاً من كلام الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله) .

نواقض الإسلام

فمن الجدير أن أذكر نواقض الإسلام ، فهاك بيانها :

الأول : الشرك في عبادة الله ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء : ٤٨] .

﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة : ٧٢] . ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للقرير .

الثاني : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ، ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعاً .

الثالث : من لم يكفر المشركين ، أو يشك في كفرهم أو صرح مذهبهم كفر .

الرابع : من اعتقد أن غير هدى النبي - ﷺ - أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر .

الخامس : من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ، ولو عمل به فقد كفر .

السادس : من استهزأ بشيء من دين الرسول أو ثوابه ، أو

عقابه والدليل قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ سَاهُونَ ، لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة : ٦٥ ، ٦٦] .

السابع : السحر ومنه الصرف والعطف ، فمن فعله أو رضى به كفر والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

الثامن : مظاهره المشركين ومعاونتهم على المسلمين ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥١] .

التاسع : من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى - عليه السلام - فهو كافر .

العاشر : الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة : ٢٢] .

ولا فرق في جميع هذه النواقض ، بين الهازل والجاد والخائف ، إلا المكره وكلها من أعظم مايكون خطراً وأكثر

ما يكون وقوعاً . فينبغي للمسلم أن يحذرهما ويخاف منهما على نفسه . نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه .^(١)

معنى محمد رسول الله

ولو عرفوا أن معنى (أشهد أن محمداً رسول الله) : طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما عنه نهى وزجر ، وأن لا يعبدوا الله إلا بما شرع ، لا بالأهواء والبدع ، وتأملوا قول الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] .

وقوله : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [النساء : ٦٥] .

وقوله : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(١) [النور : ٦٣] .

(١) كتاب (مجموعة التوحيد) .

(١) أمره : أى أمر الرسول . فتنة : أى شرك أو كفر .

وقوله - ﷺ - : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد »^(١) .

وقوله فى الحديث الشريف : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » رواه أبو داود والترمذى ، وقال حديث حسن صحيح^(*) .

بيان بعض البدع^(١)

لعلموا أن كثيراً من صلواتهم وأدعيتهم وأذكارهم وأحزابهم مما ابتدعه بعض الفقهاء الجامدين ، أو المتصوفة المبطلين ، أنها من

(١) رواه مسلم من حديث عائشة - رضى الله عنها - والمتفق عليه « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » أى مردود على صاحبه .

(*) صحيح : أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه والحاكم وأحمد وصححه الألبانى فى صحيحى « الترمذى » و« ابن ماجه » ولزيد من التخرج راجع السلسلة الصحيحة حديث رقم (٩٣٧) .

(١) البدعة : لغة : الأمر المحدث الذى لم يسبق له نظير ، لأن مادة بدع للاختراع .

وعرف علماء الفقه والحديث البدعة بتعاريف ، أحسنها وأوضحها : الأمر المحدث بعد الرسول ، بقصد التقرب إلى الله ، فبقصد التقرب خرجت البدعة الدنيوية كإحداث البارود والقهوة والمناخل والسيارات والطائرات وما أشبه ذلك . وتقسم بعض العلماء البدعة إلى حسنة وقيحة ، تقسيم باطل لا مستند له من الشرع . =

= والتقسيم الصحيح أنها قسمان : دينية ودنيوية ، وقد عرفتهما مما سبق ، وكيف لتقسيمهم إلى حسن وقبيحة أصل وهو يناقش القرآن والحديث . وإليك البيان على وجه الاختصار :

١ - أما القرآن ، فقد قال الله : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ [المائدة : ٣] فما انتقل الرسول من الدنيا إلا والدين كامل لا يحتاج إلى الزيادة .

ونضيف إلى ذلك : أن التشريع من حق رب العالمين ، وليس من حق البشر ، ولئن جازت الزيادة في الدين ، جاز النقص ، ولا قائل بذلك :

بديين المسلمين ، إن جاز زيـد
فجـاز النـقص أيضاً أن يكونـا
كفى ذا القول قبحاً يا خـلـيل
ولا يرضاه إلا الجاهلونـا

وأما الحديث : ففي الصحيح : « إياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة » ولفظ كل للعموم . ولا يخرج فرد من الأفراد المبتدعة إلا بمخصص ، فأين المخصص هنا ، حتى يقال : هذه بدعة حسنة وخرجت من حيز العموم . فإن كان المخصص حديث « مارآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن » .

فالجواب : أولاً : إن هذا ليس بحديث عن النبي - ﷺ - بل من كلام ابن مسعود .

وثانياً : إن (ال) في كلمة المسلمون ، إن كان للاستغراق ، أى كل المسلمين فإجماع ، والإجماع حجة ولا كلام فيه . وإن كان للجنس فيستحسن بعض المسلمين هذا الأمر ويستقبحه البعض الآخر ، كما هو الواقع في أكثر البدع وعليه فقد سقط الاحتجاج بهذا الأثر .

البدع والضلالات التي ما أنزل الله بها من سلطان ، مثل الذكر بالإسم المفرد : (الله الله ، أو ياهو ياهو) .

ومثل خلق المريدين (إجتماعهم في حلقات) الذين يزعمون أنهم يذكرون الله بمثل هذه الأذكار المخترعة .

وكصلاة الرغائب^(١) ومثل حزب البحر وأمثاله ، وابتهالات وصلوات ومناجاة وإنشاد قصائد في مدح النبي - ﷺ - فوق المنائر قبل الفجر وفي ليلة الجمعة ويومها ، وبعض صيغ صلوات على الرسول لم ترد السنة بها .

مثل قولهم : اللهم صل على محمد عدد ما في علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله .

وكقولهم : اللهم صل على محمد كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون .

لأن الصلاة على الرسول من أجل القربات ، كيف لا وقد أمرنا الله بها في كتابه المجيد ، بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

(١) من أشنع البدع وأقبحها بدعة صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة ، بحجة أن العدد ناقص عن الأربعين ، أو أن المأمومين لا يحسنون القراءة .. فإن هذه البدعة الضالة نجر إلى الكفر ، إن اعتقد أن صلاة الظهر بعد الجمعة فرض وإلى البدعة والضلال ، إن اعتقد أنها سنة .

والصبيغ الواردة في الصلاة على الرسول مدونة في كتب السنة لا حاجة إلى الاختراع والابتداع في صيغها .

لأن الصلاة عليه - ﷺ - عبادة ، والعبادة مبنية على التوقيف .

من صيغ الصلاة على الرسول

ومن الصبيغ الواردة للصلاة عليه - ﷺ - ما رواه مسلم عن ابن خنير ، عن روح بن عبادة (*) وعبد الله بن نافع الصائغ ، أنهم قالوا : يارسول الله : كيف نصلى عليك ؟ فقال رسول الله - ﷺ - : « قولوا : اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته ، كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته ، كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد » . وكما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري ، قال : « قلنا : يارسول الله ، هذا السلام عليك عرفناه ، فكيف الصلاة عليك ؟ قال : قولوا : اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على

(*) روح بن عبادة وعبد الله بن نافع شيخا شيخ مسلم وليس بصحابي كما يوهمه المؤلف والحديث عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه . أخرجه مسلم (١٢٧/٤) بشرح النووي .

إبراهيم ، وبارك على محمد وآل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم » .

شبهة للقبوريين وردها

وإنما قلنا : يجب على المسلم أن يميز الفرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ، لأن الموحد إذا أنكر عليهم ما يأتون من أفانين العبادات ، وأنواع التضمرات لتلك القبور ، وقال لهم : إن عملكم هذا شرك ، غضبوا وقالوا : كيف تصفنا بالشرك ونحن نشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت ويده النفع والضرر ، وإليه المرجع والمصير ؟ وغاية الأمر أننا نجعل هؤلاء الأنبياء أو الصالحاء شفعاء يشفعون لنا عند الله ، لأننا ملطخون بأنجاس الذنوب ، ليس لنا قدر حتى نطلب من الله أن يغفر ذنوبنا ، أو يقضى حاجاتنا ، أو يدفع ضررنا ، فنستشفع بهؤلاء ونجعلهم وسطاء بيننا وبين الله ، لما نعلم ما لهم من الجاه والمنزلة بمثابة الوزير عند الملك .

حيث إن أفراد الرعية لا يستطيعون أن يصلوا إلى الملك إذا حل بهم ظلم أو كارثة . فيتوسلون بالوزير أو المقرب ، ليشفع لهم عند الملك أو السلطان ، أو الوزير ليقضى الملك حوائجهم أو يدفع عنهم الظلم .

فنقول لهؤلاء الجهلاء في الجواب :

أولاً : إن عقيدتكم هي عقيدة المشركين بذاتها .

قال الله إخباراً عن المشركين السالفين : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ، وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ، قُلْ أَتُبْتُونَ اللَّهَ بما لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس : ١٨] .

وقال الله في آية أخرى إخباراً عنهم : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر : ٣] .

فاعتقاد أولئك المشركين بأن الله خالقهم ورازقهم .. إلخ لم ينفعهم ، ولم يحقق دماءهم . لأنهم عبدوا الأصنام ليقربوهم إلى الله ، وليشفعوا لهم .

لم يعبدوها لأنها خالقة ورازقة ، ومديرة للأمور^(١) . ولا يخفى هذا على أحد قرأ القرآن وتدبره .

(١) إذ لا يتصور عاقل عرف حال المشركين ، وما أوتوا من فهم وعقل أن ينحتوا أصناماً بأيديهم ويعتقدوا أنها خالقة ورازقة ومديرة ، ولا يوجد عاقل يعتقد ذلك ، لا في الوثنيين السالفين ، ولا الحاضرين ، ولكن عبودها على أنها صور قوم صالحين ، وتقربوا إليها بالعبادات لكي تشفع لهم عند الله ، كما نطق القرآن بذلك .

تشبيه الخالق بالخلق

وثانياً : إن هؤلاء الجهلاء ، قد شبهوا الرب العظيم ، بالملك البشرى .

قد شبهوا رب العالمين بالسلطان المخلوق من ماء مهين .

قد شبهوا أعدل العادلين وأرحم الراحمين ، بالملك المخلوق الذى قد يكون من أظلم الظالمين .

قد شبهوا الله بالخلق وتوسلوا إليه بالشفعاء والأنداد ، فجمعوا بين الشرك والتشبيه ، ولم يعلموا أنه لا يقاس الإله بالخلق ولا الرب الملك بالملوك .

وبيان ذلك على وجه الاختصار ، أن الملك البشرى قد لا يعلم بالظلم الواقع على ذلك المتوسل بالوزير ، أو يعلم أن الظلم الواقع من أحد أبنائه أو عشيرته ، ممن يجاملهم ولا يريد أن يجرح عواطفهم أو أن الظلم صدر منه على ذلك .

فأنى يقاس الخالق بالخلق ؟!

فهل الله لا يعلم بالظلم الواقع على هذا العبد ؟ أو لا يعلم بحاجته ، أو بالضر الذى مسه ؟! وهو القائل : ﴿ يَعْلمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر : ١٩] .

وهل الله يصدر منه الظلم لأحد ؟!

أو له أقرباء ينزلون ظلمهم بأحد من العباد ؟!

وهل لله وزير أو مُعين أو ظهير ؟! حتى يتوسل إليه العباد
ليشفع لهم عند الله ذلك الوزير أو المعين أو الظهير ؟
فما أفسد هذا القياس وأخبثه ، وما أجهل هؤلاء وأكثرهم
بالله .

لا واسطة بين الخالق والمخلوق إلا في تبليغ الشرائع

وأى حاجة إلى واسطة والله يقول : ﴿ وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ
حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق : ١٦] .

ويقول : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ
دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

والواسطة للتبليغ هم الرسل - عليهم الصلاة والسلام - .
أما الواسطة في رفع ضرر أو جلب نفع ، فتلك عقيدة
المشركين .

كيف تكون واسطة بين العبد وربّه ، وقد قال الله تعالى :
﴿ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
سَيَخْلَوْنَ جَهَنَّمَ ذَاخِرِينَ ﴾ ^(١) [غافر : ٦٠] .

(١) ذاكرين : صاغرين .

لم يقل الله : ادعوا أوليائي ، أو ادعوا أنبيائي ، أو استغيثوا
بأحبائي والصالحين من عبادي .

بل قال : ﴿ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ . وقال : ﴿ وَإِذَا
سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة :
١٨٦] .

وفي الحديث الشريف : « من لم يسأل الله يغضب
عليه » ^(*) .
كما ورد في الحديث : « ادعوا الله وأنتم موقنون
بالإجابة » ^(**) .

ولم يقل الرسول - ﷺ - ادعوا الأنبياء حتى يطلبوا من الله
لكم ، أو توسلوا بالأنبياء والصالحين .

عدم ثبوت التوسل عن النبي وأصحابه

ولذا لم يثبت التوسل عن الأنبياء بعضهم ببعض ، كما لم يثبت

(*) حديث حسن : أخرجه الترمذى وابن ماجه وحسنه الألبانى في صحيحى
الترمذى وابن ماجه وهو مخرج في السلسلة الصحيحة برقم (٢٦٥٤) .
(**) حديث حسن : أخرجه الترمذى والحاكم وحسنه الألبانى في صحيح الترمذى
(٢٧٦٦) وفصل تخريجه في السلسلة الصحيحة (٥٩٤) .

عن الصحابة بالرسول - ﷺ - ولم يثبت عن التابعين ، ولا عن الأئمة المعترين .

التوسل قسمان : مشروع وممنوع .

أما المشروع فهو قسمان أيضا :

القسم الأول : هو التوسل بالإيمان بالله وبرسوله ، وبالأعمال الصالحة .

ولم يقع في هذا خلاف بين العلماء ، سواء كان في حياة الرسول أو بعد موته .

القسم الثاني : من المشروع : التوسل بدعائه - ﷺ - يوم كان حياً ، بأن يأتي السائل فيسأل الرسول - ﷺ - أن يطلب له من الله العافية .

كما طلب الأعرابي من الرسول أن يستسقى لهم (*) .

وكما طلب الأعمى من الرسول أن يدعو له برد بصره - إن صح حديث الأعمى (١) .

(*) أخرجه البخاري ومسلم

(١) لم يصح حديث الأعمى (**) ، وهو حديث عثمان بن حنيف . قال في (صيانة =

(**) حديث صحيح : أخرجه الترمذي وابن ماجه والنسائي وأحمد وصححه ابن تيمية في « قاعدة جلية في التوسل والوسيلة » ص ١٤٤ طبعة السلفية وصححه الألباني في كتابه « التوسل أنواعه وأحكامه » فليراجع فإنه فصل فيه الكلام عن هذا الحديث ووجه الاستدلال منه على التوسل المشروع .

وكما طلبت الجارية السوداء - التي كانت تُصرع - أن يعافئها الله ، فحَّرها الرسول بين الصبر وبين أن يدعو لها ، فاختارت الصبر ، وسألت أن يدعو الله ألا تتكشف عندما يأتيها الصرع (*) .

وهذا التوسل الذي هو بدعائه قد انقطع بموته - ﷺ - فلا يجوز لمسلم أن يأتي قبر رسول الله ، ويسأله حاجة أو غفران ذنب ، أو كشف ضرر .

والدليل على ذلك : أن في خلافة عمر بن الخطاب ، إنقطع المطر وأراد عمر أن يستسقى ، وطلب من العباس بن عبد المطلب أن يدعو لهم بالاستسقاء ، فقال : « اللهم إنا كنا إذا أجذبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقيننا ، وإنا نتوسل إليك

= الإنسان) هو غير ثابت ، لأن في سنده أبا جعفر الرازي ، وهو سيء الحفظ ، بهم كثيراً ، فلا يحتج بما ينفرد به . اهـ . وعلى فرض صحته ، فإنه توسل بدعائه - ﷺ - لأن في الحديث عن عثمان بن حنيف : أن رجلاً ضريراً أتى النبي ، فقال : يا نبي الله ادع الله أن يعافيني . قال : « إن شئت أخرت ذلك فهو خير لأخوتك ، وإن شئت دعوت لك » قال : لا ، بل ادع الله لي ، فأمره أن يتوضأ وأن يصلي ركعتين ، وأن يدعو بالدعاء المذكور في الحديث . فالحديث نص في التوسل بدعائه - ﷺ - والتوسل بدعاء الرسول وغيره في الحياة جائز لا خلاف فيه . وليس في هذا الحديث : أسألك بحق محمد ، أو بحجة محمد ، حتى يصح استدلالهم .

(*) أخرجه البخاري ومسلم .

بعم نبينا ، ثم قال : قم يا عباس فادع الله لنا » رواه البخارى .

فلو كان التوسل بالرسول بعد موته جائزاً ، لما عدلت الصحابة عن الرسول إلى العباس بن عبد المطلب ، وهذا من الوضوح بمكان لا يخفى ، إلا على من أعماه التعصب والعناد ، وسلك سبيل أهل الضلال والفساد .

ولزيادة الإيضاح والبيان ، نورد لكم بعض أدعية الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - .

فهذا أبونا آدم ، لما اقترف الخطيئة قال :

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣] .

فلم يتوسل أبونا آدم بمحمد ، كما زعم الزاعمون ، وأوردوه حديثاً عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « لما اقترف آدم الخطيئة قال : يارب أسألك بحق محمد لما غَفَرْتَ لى فقال الله : يا آدم وكيف عرفت محمداً ، ولم أخلقه ؟ قال : يارب لأنك لما خلقتنى بيدك ، وَفَعَلْتَ فى من رُوحِكَ رَفَعْتَ رَأْسِي فَرَأَيْت على قوائم العرش مكتوباً « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَنْ تُضَيِّفَ إِلَى إِسْمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ » .

فقال الله : صَدَقْتَ يا آدم ، إنه لأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى ، اذْعُنِي بحقه ، فقد غفرتُ لك ، ولولا محمد ما خلقتُك » رواه الحاكم فى مستدركه (*) .

وقد أجاب أهل العلم : أن الحاكم متساهل فى تصحيح الأحاديث ، حتى اتهمه بعضهم بسوء العقيدة .

فقد قال الذهبى فى تعليقه على المستدرک ، فى خصوص هذا الحديث : إنه حديث موضوع ، فلا حجة فى موضوع ، بل ولا فى ضعيف .

أدعية الرسل

وإذ سمعتم دعاء آدم - عليه السلام - فاسمعوا دعاء نوح ، كما أخبر الله عنه : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لى وَلِوَالِدَى وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِى مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً ﴾ [نوح : ٢٨]

(*) حديث موضوع : أخرجه الحاكم فى المستدرک وأفاض ابن تيمية فى كتابه « قاعدة جلية » ص ٩١ فى الإنكار على الحاكم فى تصحيحه هذا الحديث وقال : « وأما تصحيح الحاكم لمثل هذا الحديث وأمثاله فهذا مما أنكره عليه أئمة العلم بالحديث » ولزيد من التفصيل راجع السلسلة الضعيفة للشيخ الألبانى حديث رقم (٢٥) .

وقال الله عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم : ٤١] (١) .

وقال الله مخبراً عن أيوب : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أُنِّى مَسِّىَ الصُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] .

وعن يونس ، لما التقمه الحوت : ﴿ وَذَا الثُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ، فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧] ، [٨٨] .

وعن زكريا : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ رُوحَهُ ﴾ [الأنبياء : ٨٩ ، ٩٠] .

وعن يوسف - عليه السلام - : ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِىُّ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَالْحَقِّقْ بَالِ الصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف : ١٠١] .

(١) دعاء إبراهيم لوالده ، قيل أن يتيين له أنه عدو الله ، كما أخبر الله عنه « فلما تبين أنه عدو الله تراء منه إن إبراهيم لأواه حليم »

وأدعية الرسول - ﷺ - كثيرة مبثوثة فى كتب السنة ، وفى كتب الأذكار ، ومنها :

« اللهم إنى أسألك العافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى وبنى .. » إلى آخر الدعاء .. (*) .
ومنها دعاء سيد الاستغفار المشهور (**) .

ومنها دعاء : « اللهم إنا ندعوك كما أمرتنا ، فاستجب لنا كما وعدتنا ، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما نحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبليغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهوون به علينا مصائب الدنيا ، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا .. إلخ » (***) .

فهل يستطيع أحد من هؤلاء أن يأتى بحرف من القرآن أو من السنة الصحيحة على مشروعية التوسل بالصالحين ، أو الأنبياء والمرسلين ، فضلاً عن الاستغاثة بالرسول أو غيره .

(*) حديث صحيح : أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه وصححه الألبانى فى « صحيح ابن ماجه » وتخرج « الكلم الطيب » حديث رقم (٢٧) .

(**) أخرجه البخارى ونص الدعاء هو « اللهم أنت رى لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

(***) حديث حسن : أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه الألبانى فى « الكلم الطيب » وفى صحيح الترمذى رقم (٢٧٨٣) .

فإن الاستغاثة بغير الله شرك لا ريب فيها . وأما التوسل فهو بدعة ، لا كفر .

ومن الأدلة الدالة على أن التوسل يكون بالأعمال الصالحة ، ما جاء في الحديث عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة (١) ، فتوسل أحدهم ببر والديه ، والثاني توسل بعفته من الزنا بعد أن جلس من المرأة مجلس الرجال من النساء . والثالث توسل بتنمية أجر الأجير ، بعد أن ذهب وترك أجرته ، ثم رجع بعد مدة طويلة وطلب أجرته فردها عليه فإذا هي مال كثير .

احتجاجهم بآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة : ٣٥] .

والجواب عنها : أن الوسيلة هنا معناها : التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة ، أو بأسمائه وصفاته ، كما بينا في التوسل المشروع ، لا كما يقول المبتدعون ، أن نجعل الأنبياء والصالحين شفعاء ووسطاء . ويقولون إنها من الوسائل المأمور بها ، ويفسرون الآية بها .

أو يزعمون أن الشفاعة ثابتة لرسول الله - ﷺ - ونحن نسأله ، لأن الله قد منحه إياها .

(١) أخرجه البخارى ومسلم .

إثبات الشفاعة للرسول

فالجواب : لا ريب أن للرسول - ﷺ - شفاعات متعددة أعظمها : الشفاعة العظمى يوم القيامة لإراحة الناس من عنا الموقف العظيم ، وهذه الشفاعة مخصوصة برسول الله - ﷺ - وله شفاعة أخرى في إخراج بعض من دخل النار من الموحدين ، وأخرى في رفع درجات المؤمنين في الجنة .

ولكن اعتقادنا بثبوت الشفاعة له ، لا يسوغ للمسلم إتكالاً على هذه الشفاعة أن يسأل رسول الله في الدنيا شفاعته أو غفران ذنوبه ، كأن يقول : يا محمد اشفع لى ، يا محمد اغفر لى ذنبى ، أدركنى ، أستجير بك ممن ظلمنى ، أو أسألك يا محمد الشفاعة ، فإن ذلك كله لا يجوز .

بل يقول : اللهم ارزقنى شفاعة محمد ، اللهم شفّع فى محمداً ، أو يقول : اللهم لا تحرمنى من شفاعة محمد .

فإذا لم يجز للإنسان أن يقول مخاطباً لرسوله - ﷺ - إشفع لى ، أو أغثنى ، أو أستجير بك . فأولى أن لا يجوز بغيره من الأولياء والصالحين . ولا يغتر بقول بعض الشعراء .

يا أكرم الخلق مالى من ألود به
سواك عند حلول الحادث العمم

فإن هذا الكلام شرك وضلال ، ولكن الله أعلم بقائله ، هل مات على هذا أو تاب .

يقول : مالى من ألوذ به ، ونقول له :

لُذْ بِالْإِلَهِ وَلَا تَلُذْ بِسِوَاهُ
مَنْ لَأَذَ بِالْمَلِكِ الْجَلِيلِ كَفَّاهُ

حجج المبتدعة في جواز التوسل والاستغاثة

وقد كثر في كلام بعض الشعراء من الاستغاثات ، والنداءات
لرسول الله - ﷺ - ولغيره^(١) ، كما كثر في كلام المتأخرين من

(١) كما قال بعضهم :

وحل عقيدة قلبى يا محمد من
هم على خطرات القلب مطرد
أرجوك في سكرات الموت تشهدنى
كيما يهون إذا الأنفاس في صعد
وقال بعضهم :

يا سيدى يا صفى الدين يا سيدى
يا محمدى بل ويا ذخرى ومفتخرى =

التوسلات والاستغاثات ، وتجوزهم لهما شبهة واهية ، ليس
عليها شبهة الصواب ، فضلاً عن الحجة والدليل .

١ - مثل احتجاجهم على التوسل بحديث آدم السابق ذكره .

٢ - وبحديث : « اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ،
وبحق ممشأى هذا »(*) .

٣ - وبحديث فاطمة بنت أسد(**) ، الذى رواه ابن حبان
والحاكم عن أنس بن مالك ، قال : « لما ماتت فاطمة بنت أسد
بن هاشم أم على بن أبى طالب - وكانت قد ربت النبی
ﷺ - فجلس عند رأسها وقال : (رحمك الله يا أمى بعد
أمى) إلى أن قال لما أدخلها فى اللحد : (اغفر لأمى فاطمة بنت

= أنت الملاذ لما أحنى ضرورتى
وأنت لى ملجأ من حادث الدهر

فانظر إلى هذا الغلو الشنيع من هذين الشاعرين ، اللذين نسباً أن المرتضى والملاذ
للعبد هو الله . كما فى الآيات المارة ، والقرآن مملوء بالآيات التى تصرح أن الله هو
الذى بيده النفع والضرر ، وأنه إليه المرجع والمصير .

(*) ضعيف : أخرجه ابن ماجة وأحمد وضعفه المنذرى والألبانى فى السلسلة
الضعيفة (٣٤/١) حديث رقم ٢٤ .

(**) ضعيف : أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير وضعفه الألبانى فى السلسلة
الضعيفة (٣٢/١) حديث رقم ٢٣ .

أسد ووسع لها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي ، فإنك أرحم الراحمين) .

٤ - ومثل احتجاجهم على جواز الاستغاثه ، بقوله تعالى : ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ [القصص : ١٥] .

٥ - وبقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ، لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾ [النساء : ٦٤] .

٦ - ومثل قولهم : لا فرق بين الأحياء والأموات ، فإذا جاز التوسل بالنبي حياً ، جاز به ميتاً لأنه حي في قبره ، وهكذا سائر الأنبياء ، لأن الأنبياء أعلى مقاماً من الشهداء ، والشهداء قد قال الله فيهم : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً ، بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

٧ - وبما يروونه من حديث : « إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور » .

٨ - وحديث : « توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم » ، إلى غير ذلك من الاحتجاجات الواهية السمجة الباردة ، التي تستوجب الضحك عليهم والرياء لحاظم .

الرد (١) على حجج المبتدعين وتفنيدها

والى القارىء الجواب عن تلك الشبهه ، فنقول : أولاً : ليعلم القارى أن التوسل بدعة ليس بكفر ، وإنما الكفر هو الاستغاثه برسول الله أو غيره ، كما مر غير مرة .

وثانياً : ليس في التوسل بالأموات حديث صحيح أو حسن وكل ما يوردونه إما ضعيف أو موضوع .

١ - فأما حديث الإحتجاج بتوسل آدم ، فقد سبق الجواب عنه .

(١) وبقيت لهم شبهة وهي : أنهم قالوا للموحدين : إنكم تعمدون إلى الآيات التي نزلت في الأصنام وعابديها ، فتنزلونها على المسلمين الذين يتوسلون بالصالحين ، ويستغيثون بالمرسلين ، ويأتون بكل شرائع الدين ، فتجعلون المرسلين والصالحين في سلك الأصنام والأوثان ، والمتوسلين في سلك عبيدتها .

فالجواب : أولاً : صرح العلماء أن العبرة ، بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

ثانياً : إن المشركين السالفين والكافرين الغابرين ، منهم من كان يعبد الأنبياء كعيسى وعزير ، ومنهم من كان يعبد الصالحين ، كؤد وسواع ويغوث ويعوق ونسر . فكفرهم الله جميعاً ، وأخبر عن كفرهم . وكلمة (دون الله) في مثل قوله : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ ﴾ وكلمة : ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ ، تشمل كل معبود غير الله ، ولو كان نبياً أو ملكاً ، وقد رأيت أن الله كفر اليهود والنصارى بطاعتهم للأحبار والزهاد في =

٢ - وأما حديث : « اللهم إني أسألك بحق السائلين » فإنه ضعيف . قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد : هذا إسناد مسلسل بالضعفاء ، عطية وهو العوفي والفضيل ابن مرزوق ، والفضل بن الموفق ، كلهم ضعفاء .

وعلى تسليم أنهم اختلفوا في الفضيل بن مرزوق فضعفه ابن حبان والنسائي وأبو حاتم ، ووثقه ابن معين . قال ابن حبان فيه : يروى عن عطية العوفي الموضوعات وهو في هذا الحديث عن عطية العوفي .

فإن الجرح مقدم على التعديل ، على أننا لو سلمنا بصحة الحديث ، فإننا لانسلم أن حق السائلين مخلوق ، إذ حقهم هو إجابة الله ، وإعطاءهم سؤالهم ، وهما صفتان له تعالى . فحق الخلق قد يكون صفة من صفات الله ، قال تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم : ٤٧] .

٣ - والجواب عن حديث فاطمة بنت أسد أنه ضعيف أيضا ، فإنه فيه روح بن صالح المصرى وهو ضعيف . وعلى فرض تسليم صحته ، فحق الأنبياء غير مخلوق كما قدمنا في حديث : « اللهم إني أسألك بحق السائلين » .

= تحريم الحلال ، وتحليل الحرام ، فضلا عن السجود لغير الله والنذر له ، والطواف به .

بل إنه صفة من صفات الله تعالى ، وهو نصرته للأنبياء ، وإرضائهم وإعلاؤهم على أعدائهم .

٤ - وأما احتجاجهم على الاستغاثة بقوله تعالى في قصة موسى : ﴿ فَاسْتَعَاذَ الْيَدَى مِنْ شَيْعَتِهِ ﴾ [القصص : ١٥] .

فما أسمى من استدلال وما أبرده !! لأنها استغاثة حتى يحى فيما يقدر عليه ، وليس في هذا خلاف . على أن فعل الرجل الإسرائيلي ليس بحجة ، وإجابة موسى له وتقريره عليه ليس بحجة ، لأن ذلك قبل أن يوحى إليه .

وسكوت الأنبياء قبل بعثتهم لا يدل على جواز المسكوت عنه . وبعد ذلك كله ليس هو في شريعتنا .

٥ - وأما احتجاجهم بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا ﴾ [النساء : ٦٤] . فالجواب : أن غايتها تعليق غفران ذنوبهم على مجيئهم إليه - ﷺ - واستغفارهم الله ، واستغفار الرسول لهم . وأنهم ليموا على ترك ذلك ، وليس فيها أنهم طلبوه ولا أمرو أن يطلبوه .

وثانيا : أن الآية معلقة ذلك على إتيانه - ﷺ - وإتيانه غير متأت بعد موته ، إذ لا يمكن إلا إتيان قبره ، ومن أتى القبر لا يقال أنه أتى صاحب القبر ، إلا على سبيل التسامح والتجاوز .

ثالثا : هي واقعة معينة لاتفيد العموم بمعناها ولا لفظها

وقعت في حياته - ﷺ - فمن أين أخذوا التعميم في الحياة والمات ؟

ولو دلت على العموم في الحياة والمات لكانت مخصصة ومقصورة على الحياة ، ودليل التخصيص الأخبار الشرعية الدالة : أن الأموات لا يسمعون ولا يجيبون ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢] .

وفي الحديث الذي رواه مسلم : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو ولد صالح يدعو له ، أو علم ينتفع به » .

ولأن الصحابة ومن بعدهم ما فهموا شمولها للموت ، ولذا لم يدعوه - ﷺ - ولم يأت إلينا أنهم دعوه بعد الموت ، كما قد أتى إلينا أنهم سألوه الدعاء في حياته ﷺ .

حديث القلب

تعلق القبوريون المبتدعون بحديث القلب ، أن الموق يسمعون ، لأن النبي - ﷺ - أجاب عمر : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » (*) وبحديث : « وإنه ليسمع الآن قرع نعالهم إذ أتاه

(*) أخرجه البخاري .

الملكان » (**). فاحتجوا على سماع الأموات بهذين الحديثين ، وإذا كانوا يسمعون فيجيبون الداعين لهم والمستغيثين بهم فيقضون حوائجهم ، وينال المستغيث بغيته والطالب منهم ضالته وقصده ، كما استدلوا بذينك الحديثين على ندب قراءة الأحياء على قبور الموق .

والجواب : أن حديث القلب وقع معجزة لرسول الله ﷺ - وخوارق العادات لا يقاس عليها ، فكيف والله يقول : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ، إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢] .

وأما الحديث الثاني ، فالجواب : أنه مقيد بتلك الساعة التي سيأتيه الملكان ، وليس سماعه في كل وقت ، وإذا أردت هذا البحث لتروى غليلك وتشفى عليك فارجع إلى (رسالة الآيات البينات في عدم سماع الأموات للعلامة الألوسي رحمه الله) .

٦ - وأما قولهم : لافرق بين الأحياء والأموات في جواز التوسل والاستغاثة ، ومأثبات لأحد المثبتين للآخر ، وقد ثبتت حياة الأنبياء في قبورهم ، لأنهم أعلى مقاماً من الشهداء ، فجازت الاستغاثة والتوسل بهم وبالشهداء والأولياء .

فالجواب : أن هذه المقالة مصادمة للقرآن صريحاً لأن القرآن

يقول : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ، إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢] .

ويقول : ﴿ فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى ، وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ [الروم : ٥٢] .

فسبحان الله الذى أعمى بصائر هؤلاء القبوريين الدجاجلة المضلين حتى سَوَّوا بين الأحياء والميتين ! .

بل قالوا : إن الأرواح بعد مفارقة الأجسام ، باقية وتتصرف التصرف التام ! .

فعلى عقولهم العفاء والدمار ، فما أجهل هؤلاء وما أكفرهم . فلو كانوا أحياء كما زعم هؤلاء لما جاز دفنهم ، وتقسيم أمواتهم ، وتزوج نساؤهم . بالنسبة لغير الرسول ﷺ .

وإننا نرى الميت يهان ويوطأ ، وهو لا يتحرك ولا يدفع عن نفسه ، أترأه رضى لها الهوان ؟! ولا أظن أن سمع الناس أبطل من هذا الكلام ، وأفسد من هذا القياس .

٧ - وقولهم : إن الأرواح تتصرف بعد مفارقة الأجسام لأنها حيّة ، فكلام باطل .

وأى تصرف لها ؟ وهل يلزم من حياتها أن تكون قادرة بحية للمستغيثين والسائلين ؟ .

ولو جاز لنا أن نستغيث بهؤلاء لأنهم أحياء ، جاز لنا أن نستغيث بالملائكة الذين لاخلاف في حياتهم ، وبالحوور والولدان ، وبأرواح الكفار ، وبالجان لأنهم أحياء . سبحانه هذا بهتان عظيم ! لا يقول هذا إلا من سفه نفسه ، وتجرد من عقله . اللهم إهدهم إلى صراط الحق ، والطريق المستقيم .

٨ - وأما حديث : « إذا أعيذكُم الأمور » فإنه مكذوب ومن وضع الزنادقة الذين قصدوا إفساد الدين .

٩ - وحديث : « توسلوا بجاهى » موضوع (*) لم يختلف في وضعه إثنان .

ولا ريب عند المسلمين جميعهم ، أن لرسول الله - ﷺ - جاهاً عظيماً ومقاماً محموداً ، وأنه أفضل الورى وخاتم الأنبياء والمرسلين .

(*) قال ابن تيمية - رحمه الله - في « قاعدة جلييلة » (وهذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التى يعتمد عليها أهل الحديث ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث) .

ولكن هذا لا يسوغ لنا التوسل والاستغاثة به ، وإن كان الأنبياء أحياءاً في قبورهم حياة برزخية لا يعلمها إلا الله ، لأن الحياة البرزخية لا تقاس بالحياة الدنيا^(١) .

(١) وحيث أن كثيراً من ذوى البدع والضلال والدعاة إلى عبادة الأموات من الأنبياء والصالحين ، يشاغبون في حياة الأنبياء والشهداء ، ويزعمون أن حياتهم كالحياة الدنيوية يأكلون ويشربون ويتكحون كسائر أهل الدنيا . وبناءً على ذلك جوزوا الاستغاثة بهم في الشدائد والملمات . بل وندبوا إلى ذلك وضلوا من بنى عن الاستغاثة بالأموات ويجعلها شركاً برب العالمين . ونحن نقول : أنها حياة برزخية غيبية لا يعلم كتبها إلا الله . فلذا يجدرى أن أذكر بعض كلام المفسرين الأجلاء في هذا الموضوع ، ونكتفى بأربعة من كبارهم ليتبين صحة قولنا وبطلان قولهم . وإلى القارئ بيان ذلك :

قال العلامة ابن جرير في تفسيره تحت قوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

يعنى الذين قتلوا بأحد من أصحاب رسول الله ، يقول الله : ولا تحسبنهم يا محمد أمواتاً لا يحسون شيئاً ، ولا يتلذذون ولا يتمتعون ، فإنهم أحياء عندى متنعمون في رزق ، فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتى وفضل وحبوئهم من جزيل ثوابى وعطائى .. ثم ساق أحاديث وآثاراً نحواً من عشرين حديثاً وأثراً ، منها عن مسروق بن الأجدع ، قال . سألتنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآيات : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله ﴾ الآية . قال : إما أنا قد سألتنا عنها فقبل لنا : إنه لما أصاب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فيطلع الله إليهم إطلاعة ، فيقول : يا عبادى ما تشتهون =

= فأزيدكم فيقولون : ربنا لا فوق ماعطينا الجنة نأكل منها حيث شئنا إلا أنا نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا . ثم تردنا إلى الدنيا فنقاتل فيك حتى تقتل فيك مرة أخرى » تفسير ابن جرير - طبعة دار المعارف .

وقال الحافظ بن كثير في تفسير الآية :

يخبر الله تعالى عن الشهداء ، بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار ، فأرواحهم حية مرزوقة في دار القرار .

ثم أورد ابن كثير ، كثيراً مما أورده ابن جرير ، ومنها أخرجه الإمام أحمد عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله : لما أصيب إخوانكم يوم أحد ، جعل أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش » الحديث ج ٢ ابن كثير - طبعة الأندلس بيروت .

وقال العلامة ابن الجوزى في تفسير قوله : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات ، بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾ [البقرة : ١٥٤] .

ذكر سبب النزول أنها في شهداء أحد ، ثم قال : « أى لا تقولوا هم أموات ، لا تصل أرواحهم إلى الجنان ، ولا تنال من تحف الله مالا يناله الأحياء ، بل هم أحياء أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة ، فهم أحياء من هذه الناحية وإن كانوا أمواتاً من جهة خروج الروح . ولما استشعر اعتراضاً بأن جميع المؤمنين ممنوعون بعد موتهم فلم خصصتم الشهداء ! أجاب : إن الشهداء فضلوا على غيرهم بأنهم مرزقون من مطاعم الجنة ومأكلاها ، وغيرهم منعم بما دون ذلك . اهـ .

(من زاد المسير - ج ١ فى سورة البقرة ص ١٦٠ - طبعة المكتب الإسلامى) .

وقال العلامة القاسمي في تفسيره ، نقلاً عن البيضاوي وحواشيه : « إن إثبات الحياة للشهداء في زمان بطلان الجسد وفساد البنية ، ونفى الشعور بها ، دليل على أن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس حياة الحيوان ، لأنها بصحبة البنية واعتدال المزاج ، وإنما هي أمر يدرك بالوحي لا بالعقل » اهـ .
(من « محاسن التأويل » ج ٢ - طبعة دار إحياء الكتب العربية) .

تأمل كلام ابن جرير قوله : « إنهم أحياء عندى متنعمون في رزق » .
وكلام ابن الجوزي : « فهم أحياء من هذه الناحية - أى من ناحية أرواحهم في حواصل طير خضر - وإن كانوا أمواتاً من جهة خروج الروح » .

وكلام ابن كثير إذ يقول : « إنهم وإن قتلوا في هذه الدار ، فأرواحهم حية مرزوقة في دار القرار » .

وكلام البيضاوي : « إن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس حياة الحيوان » .

فإذا أحطت علماً بذلك تبين لك أن مذهب إليه أهل التخريف - إن حياتهم من جنس حياتنا يأكلون ويشربون وينكحون - اعتقاد فاسد يأباه كل ذى عقل سليم ، فضلاً عن تحلى بالعلم والعقيدة الصحيحة .

وقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٤] .

وفي سورة آل عمران : ﴿ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] كاف في بطلان مذهب إليه المبتدعة في إثبات الحياة لهم كالحياة الدنيوية ، على أنه قد فسر بعضهم تلك الحياة بحياة الذكر الجميل والثناء الجليل . =

= وقيل : إن المراد بالموت والحياة ، الضلال والهدى ، أى لا تقولوا هم أموات في الدنيا ، ضالون عن الصراط المستقيم ، بل هم أحياء بالطاعة ، قائمون بأعبائها ، وقيل غير ذلك^(١) .

ولكن خير تفسير لحياتهم ما فسروه رسول الله - ﷺ - كما سبق في الحديثين السابقين . وكاسبق في كلام المفسرين .

والخلاصة : أن حياة الشهداء والأنبياء من باب أولى حياة غيبية برزخية لا يعلم كتبها إلا الله سبحانه . ولكل دار حكم ، فلما خرجوا من الدنيا لا يجوز لنا أن نطبق عليهم الأحكام الدنيوية . فإذا جاز لنا أن نسأل الرسول في حياته الدعاء ، أو يسأل لنا الغفران ، فلا يجوز لنا بعد موته أن نسأله ما كنا نسأله في الحياة الدنيوية .

قال الشيخ أحمد أحمد بن محمد بن عوض العبادي البني ، في منظومته « هداية المريد » :

والشهداء وأنبيااء الله
فإنهم أحياء عند الله
وما لهم حكم الحياة عندنا
لكونهم قد فارقوا دار الفنا
ومن يقل حياتهم لا تنقطع
فذاك كذاب مريد مبتدع

(١) ولو ذهبنا ننقل كلام المفسرين في هذا الموضوع لصار يتطلب مجلداً ضخماً ونحن قصدنا الإيجاز ، وفيما نقلناه كفاية ، وتبين به أن مذهب إليه أهل الضلال هو من أكبر البدع والضلال .

ولا تعطى أحكامها ، فإذا جاز أن نسأله - ﷺ - في حياته الدعاء ، بأن يطلب لنا من الله قضاء حاجة أو غفران ذنب ، فلا يجوز بعد مماته أن نسأله قياساً على حياته الدنيوية .

وأين هؤلاء من الآيات القرآنية التي تنادى بأن ليس لغير الله أمر أو تصرف ، أو قدرة في دفع ضرر ، أو جلب نفع ، سواء أكان نبياً أم غيره ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادْنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ ، أَوْ أَرَادْنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ، قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر : ٣٨] .

وقوله : ﴿ قُلْ إِنْى لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا قُلْ إِنْى لَنْ يُجِيرَنى مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ [الجن : ٢٢ ، ٢١] .

وقوله : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ

= فإنه كذب القــــرآن^(١) والــــرسولا

وخالف المعقول والمنقول

(١) ويشير إلى الآية : ﴿ إِنْى مِتْ وَإِنْى مِتُّونَ ثُمَّ إِنْى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠ ، ٣١] .

وقوله : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل . أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

اللَّهُ ، وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ السُّوءُ . إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] .

إلى غير ذلك من الآيات التي فيها الخطاب للرسول - ﷺ - مبيناً أن الذى بيده النفع والضرر هو الله وحده لا غير ، وأن المعبودات من دون الله لا تغنى شيئاً ، وأن الرسول - ﷺ - مع أنه سيد الأولين والآخرين ، وإمام الأنبياء والمرسلين لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ، فضلاً عن غيره .

وقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي - ﷺ - أنه قال لما نزلت آية : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] .

(يابنى كعب بن لؤى ، أنقذوا أنفسكم من النار . يابنى عبد شمس ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يابنى عبد مناف ، أنقذوا أنفسكم من النار . يابنى عبد المطلب ، أنقذوا أنفسكم من النار . يافاطمة بنت محمد ، أنقذى نفسك من النار . فإنى لأملك لكم من الله شيئاً)

وفي رواية : (يامعشر قريش ، اشتروا أنفسكم من الله ، فإنى لأعغى عنكم من الله شيئاً ، يابنى عبد المطلب ، لا أعغى عنكم من الله شيئاً ، ياعباس بن عبد المطلب لا أعغى عنك من الله شيئاً ، ياصفية عمة رسول الله لا أعغى عنك من الله شيئاً ،

يا فاطمة بنت رسول الله سلىنى من مالى ماشئت ، لا أغنى عنك
من الله شيئاً (*) .

وقوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة :
٥] ، أى نَحْصُصُكَ بالعبادة ولا نعبُد سواك ، ونستعين بك فى
أمر الدنيا والدين ، ولا نستعين بأحد غيرك .
وحدیث : (**) « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت
فاستعن بالله » (١) .

لو تدبر هؤلاء المبتدعون تلك الآيات والأحاديث ، وراجعوا
تفاسير الأئمة المحققين على تلك الآيات ، وشروح تلك
الأحاديث ، شروح الأجلاء المعبرين .

لعلوا أن توسلاتهم بالرسول ، أو بالأنبياء والصالحين ليس
لها أصل فى الدين ..

(*)- حدیث صحیح : أخرجه البخارى ومسلم .

(**) حدیث صحیح : أخرجه الترمذى بسنده عن ابن عباس وقال : حسن
صحیح ولمزيد من التخریج يراجع كتاب « السنة لابن أبى عاصم » تحقيق
الشيخ الألبانى وقد سبق تخریج هذا الحديث .

(١) رواه الترمذى من حدیث ابن عباس ، الذى أوله : (قال : كنت خلف النبى
يوماً . فقال : يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك .. إلخ) .
وقال الترمذى حدیث حسن صحیح .

وأن الاستعانة بهم من الشرك والكفر المبین .

٣ - توحيد الأسماء والصفات :

وهو أن يعتقد العبد اعتقاداً جازماً أن ما أخبر الله به فى
كتابه ، من أوصافه العليا وأسمائه الحسنی ، وكذا ما جاءت به
الأحاديث الصحيحة من أسمائه وصفاته ، هى كما تليق بجلال الله
وعظمته وكبريائه . فمن تلك الصفات :

صفة الحياة له - جلا جلاله - كما قال : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران : ٢] .

وصفة العلم ، كما قال الله تعالى : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ
عِلْمِهِ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

وقوله تعالى : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾
[الملك : ١٤] .

وصفة الإرادة ، لقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً
أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس : ٨٢] .

والقدرة ، لقوله تعالى : ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيراً﴾ [الفتح : ٢١] .

والسمع والبصر ، لقوله تعالى : ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً
بَصِيراً﴾ [النساء : ١٣٤] .

رَحِيمٌ ﴿ [التوبة : ١١٧] . وقال : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٣] .

وقال في حق الرسول - ﷺ - : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، عزَّيْزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

فليست رحمة الله كرحمة المخلوق ، ولا رأفته كرافة المخلوق .
ووصف نفسه بالسمع والبصر ، في غير ما آية من كتابه
فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان : ٢٨] . وقال :
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

وقال في حق المخلوق : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان : ٢] .
ونحن لانشك أن ما في القرآن حق .

فله سمع وبصر حقيقتان لا تقتان لجلاله وإكاله . كما أن
للمخلوق سمعاً وبصراً حقيقتين مناسبتين لحاله ، من فقره
وفناؤه .

وبين سمع وبصر الخالق ، وسمع وبصر المخلوق ، كمثل ما بين
ذات الخالق والمخلوق .

فصدر الآية تنزيه الله عن مماثلة المخلوقات ، وردّ على المشبه .
وآخر الآية إثبات صفتي السمع والبصر ، في قوله : ﴿ وهو
السميع البصير ﴾ [الشورى : ١١] ورد على المعطلة .
فالسلف الصالح لا يمثلون صفات الله بصفات خلقه . كما
لا يمثلون ذاته بذات خلقه .

فالكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات . فكلما أن
ذاته المقدسة لا تشبه ذوات المخلوقين ، فصفاته لا تشبه صفات
المخلوقين .

فإذا قلنا : لله علم وللمخلوق علم ، كما قال في كتابه المجيد :
﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٠١] ، وقال :
﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤] .
وقال في حق المخلوق : ﴿ وَبَشِّرُوهُ بِلِغَامٍ عَلِيمٍ ﴾
[الذاريات : ٢٨] .

وقال عن نبيه يوسف : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي
حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٥٥] .

فلا شك أن ليس علم الله كعلم يوسف أو إسحاق عليهما
السلام .

ووصف نفسه بالرافة والرحمة . فقال : ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ

ووصف نفسه بالحياة فقال : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران : ٢] .

وقال : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [غافر : ٦٥] .

ووصف بعض المخلوقين بالحياة ، فقال : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا ﴾ [الأنبياء : ٣٠] .

وقال : ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ ، وَيَوْمَ يَمُوتُ ، وَيَوْمَ يُنْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : ١٥] .

فليست حياة الخالق كحياة المخلوق .

وقال : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] .

وقال في حق المخلوق : ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى ﴾ [هود : ٤٤] .

فليس استواؤه كاستواء السفينة على الجودي .

والحاصل أننا لا نتعدى القرآن والحديث ، ولا نؤول صفات الله الواردة في الوحيين بتأويلات الجهمية والمعتزلة القائلين : إن اليد بمعنى النعمة ، والاستواء بمعنى الاستيلاء^(١) . والوجه بمعنى

(١) احتجوا على ذلك بقول الشاعر :

قد استوى بشر على العـــــــــــــــــرق
من غير ســـــــــــــــــف ودم مـــــــــــــــــراق =

الذات . والرحمة بمعنى التفضل ونزوله بمعنى نزول أمره أو رحمته ، أو ملائكته .

وما أشبه ذلك من التأويلات الفاسدة ، النابعة من منابع الفلاسفة الضالين .

تلك التأويلات التي تؤول بالإنسان إلى الكفر ، وتجعل الشريعة العوبة بأيدي المبطلين والهدامين ، بحيث إنه لا يريد مبطل أن يهدم عقيدة أو حكماً شرعياً ، إلا وقد أتى من باب التأويل . وكفى بهذا قبحاً وضللاً .

وعلى اعتقاد ما وصف الله به نفسه ، أو وصفه رسوله بما أتى في القرآن والأحاديث الصحيحة من غير تمثيل ولا تكليف ولا تعطيل ، مضى عصر الرسول والصحابة والتابعين وتابعيهم من الأئمة لا المعتبرين ، كالإمام أبي حنيفة ، والإمام الشافعي ،

= والجواب : أن هذا البيت أولاً مصنوع لا يحتاج به . وثانياً : إن قالوا : استيلاء الله كاستيلاء بشر على العراق ، فهذا هو التشبيه بعينه . وإن قالوا : استيلاء الله يخصه على ما يليق به ، واستيلاء بشر كذلك ، فهلا أقبوا اللفظ القرآني ، وقالوا : استواءاً يليق بجلاله ولا مفر لهم من أحد هذين الأمرين .

انظر بحث الاستواء في « العلو » للذهبي ، وفي « الجيوش الإسلامية » لابن القيم ، وفي كتابي « العقائد السلفية » . فقد أتيت في بحث الاستواء بما لا مزيد بعده ، وفندت شبههم العقلية والنقلية والحمد لله على ذلك .

ولكن هذا لا يسوغ لنا التوسل والاستغاثة به ، وإن كان
الأنبياء أحياء في قبورهم حياة برزخية لا يعلمها إلا الله ، لأن
الحياة البرزخية لا تقاس بالحياة الدنيا^(١) .

(١) وحيث أن كثيرا من ذوى البدع والضلال والدعاء إلى عبادة الأموات من
الأنبياء والصالحين ، يشاغبون في حياة الأنبياء والشهداء ، ويزعمون أن
حياتهم كالحياة الدنيوية يأكلون ويشربون وينكحون كسائر أهل الدنيا .
وبناءً على ذلك جوزوا الاستغاثة بهم في الشدائد والملمات . بل وندبوا إلى
ذلك وضللوا من ينهى عن الاستغاثة بالأموات ويجعلها شركاً برب العالمين .
ونحن نقول : أنها حياة برزخية غيبية لا يعلم كتبها إلا الله . فلذا يجدر بى
أن أذكر بعض كلام المفسرين الأجلاء في هذا الموضوع ، ونكتفى بأربعة من
كبارهم ليتبين صحة قولنا وبطلان قولهم . وإلى القارئ بيان ذلك :

قال العلامة ابن جرير في تفسيره تحت قوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران :
١٦٩] .

يعنى الذين قتلوا بأحد من أصحاب رسول الله ، يقول الله : ولا تحسبنهم
يا محمد أمواتاً لا يحسون شيئاً ، ولا يتلذذون ولا ينتعمون ، فإنهم أحياء عندى
منتعمون في رزقى ، فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتى وفضلى وحبونهم
من جزيل ثوابى وعطائى .. ، ثم ساق أحاديث وآثاراً نحواً من عشرين حديثاً
وأثراً ، منها عن مسروق بن الأجدع ، قال . سألتنا عبد الله بن مسعود عن
هذه الآيات : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله ﴾ الآية . قال : إما أنا
قد سألتنا عنها فقبل لنا : إنه لما أصاب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم في
أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى فناديل من
ذهب في ظل العرش ، فيطلع الله إليهم لإطعامه ، فيقول : يا عبادى ما تشتهون =

= فأزيدكم فيقولون : ربنا لا فوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا إلا أنا
نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا . ثم تردنا إلى الدنيا فنقاتل فيك حتى نقتل
فيك مرة أخرى » تفسير ابن جرير - طبعة دار المعارف .

وقال الحافظ بن كثير في تفسير الآية :

يخبر الله تعالى عن الشهداء ، بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار ، فأرواحهم
حية مرزوقة في دار القرار .

ثم أورد ابن كثير ، كثيراً مما أورد ابن جرير ، ومنها أخرجه الإمام أحمد
عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله : لما أصيب إخوانكم يوم أحد ، جعل
أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى
فناديل من ذهب في ظل العرش » الحديث ج ٢ ابن كثير - طبعة الأندلس
بيروت .

وقال العلامة ابن الجوزى في تفسير قوله : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في
سبيل الله أموات ، بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾ [البقرة : ١٥٤] .

ذكر سبب النزول أنها في شهداء أحد ، ثم قال : « أى لا تقولوا هم
أموات ، لا تصل أرواحهم إلى الجنان ، ولا تنال من تحف الله مالا يناله
الأحياء ، بل هم أحياء أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة ، فهم
أحياء من هذه الناحية وإن كانوا أمواتاً من جهة خروج الروح . ولما استشعر
اعتراضاً بأن جميع المؤمنين ممنعون بعد موتهم فلم خصصتم الشهداء !
أجاب : إن الشهداء فُضِّلوا على غيرهم بأنهم مرزقون من مطاعم الجنة
وما أكلمها ، وغيرهم ممنوع بما دون ذلك . اهـ .

(من زاد المسير - ج ١ في سورة البقرة ص ١٦٠ - طبعة المكتب
الإسلامي) .

وقال العلامة القاسمي في تفسيره ، نقلاً عن البيضاوي وحواشيه : « إن إثبات الحياة للشهداء في زمان بطلان الجسد وفساد البنية ، ونفى الشعور بها ، دليل على أن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس حياة الحيوان ، لأنها بصحة البنية واعتدال المزاج ، وإنما هي أمر يدرك بالوحي لا بالعقل » اهـ . (من « محاسن التأويل » ج ٢ - طبعة دار إحياء الكتب العربية) .

تأمل كلام ابن جرير قوله : « إنهم أحياء عندى متنعمون في رزق » . وكلام ابن الجوزي : « فهم أحياء من هذه الناحية - أى من ناحية أرواحهم في حواصل طير خضر - وإن كانوا أمواتاً من جهة خروج الروح » .

وكلام ابن كثير إذ يقول : « إنهم وإن قتلوا في هذه الدار ، فأرواحهم حية مرزوقة في دار القرار » .

وكلام البيضاوي : « إن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس حياة الحيوان » .

فإذا أحطت علماً بذلك تبين لك أن ماذهب إليه أهل التخريف - إن حياتهم من جنس حياتنا يأكلون ويشربون وينكحون - اعتقاد فاسد يأباه كل ذى عقل سليم ، فضلاً عما تحلى بالعلم والعقيدة الصحيحة .

وقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة :

١٥٤] .

وفي سورة آل عمران : ﴿ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] كاف في بطلان ماذهب إليه المبتدعة في إثبات الحياة لهم كالحياة الدنيوية ، على أنه قد فسر بعضهم تلك الحياة بحياة الذكر الجميل والثناء الجليل . =

= وقيل : إن المراد بالموت والحياة ، الضلال والهدى ، أى لا تقولوا هم أموات في الدنيا ، ضالون عن الصراط المستقيم ، بل هم أحياء بالطاعة ، قائمون بأعبائها ، وقيل غير ذلك^(١) .

ولكن خير تفسير لحياتهم مافسروه رسول الله - ﷺ - كما سبق في الحديثين السابقين . وكما سبق في كلام المفسرين .

والخلاصة : أن حياة الشهداء والأنبياء من باب أولى حياة غيبية برزخية لا يعلم عنها إلا الله سبحانه . ولكل دار حكم ، فلما خرجوا من الدنيا لا يجوز لنا أن نطبق عليهم الأحكام الدنيوية . فإذا جاز لنا أن نسأل الرسول في حياته الدعاء ، أو يسأل لنا الغفران ، فلا يجوز لنا بعد موته أن نسأله ماكننا نسأله في الحياة الدنيوية .

قال الشيخ أحمد أحمد بن محمد بن عوض العبادي الجنبي ، في منظومته « هداية المرید » :

والشهداء وأنبياء الله
فإنهم أحياء عند الله
وما لهم حكم الحياة عندنا
لكنهم قد فارقوا دار الفنا
ومن يقل حياتهم لا تنقطع
فذاك كذاب مريد مبتدع

(١) ولو ذهبنا لنقل كلام المفسرين في هذا الموضوع لصار يتطلب مجلداً ضخماً ونحن قصدنا الإيجاز ، وفيما نقلناه كفاية ، ويتبين به أن ماذهب إليه أهل الضلال هو من أكبر البدع والضلال .

ولا تعطى أحكامها ، فإذا جاز أن نسأله - ﷺ - في حياته الدعاء ، بأن يطلب لنا من الله قضاء حاجة أو غفران ذنب ، فلا يجوز بعد مماته أن نسأله قياساً على حياته الدنيوية .

وأين هؤلاء من الآيات القرآنية التي تنادى بأن ليس لغير الله أمر أو تصرف ، أو قدرة في دفع ضرر ، أو جلب نفع ، سواء أكان نبياً أم غيره ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كَدُّعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ ، أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ، قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر : ٣٨] .

وقوله : ﴿ قُلْ إِيَّيْ لَا أُمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا قُلْ إِيَّيْ لَا يُجِيرُنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ [الجن : ٢١ ، ٢٢] .

وقوله : ﴿ قُلْ لَا أُمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ

= فِيهِ كَذِبُ الْقُرْآنِ^(١) وَالرَّسُولُ

وخالف المعقول والمنقول

(١) وبشير إلى الآية : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠ ، ٣١] .

وقوله : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَنُفِئَاتٍ أَوْ قَتْلِ أَنْقَلِيمٍ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

اللَّهُ ، وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتَ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ . إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] .

إلى غير ذلك من الآيات التي فيها الخطاب للرسول - ﷺ - مبيناً أن الذي بيده النفع والضرر هو الله وحده لا غير ، وأن المعبودات من دون الله لا تغني شيئاً ، وأن الرسول - ﷺ - مع أنه سيد الأولين والآخرين ، وإمام الأنبياء والمرسلين لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ، فضلاً عن غيره .

وقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي - ﷺ - أنه قال لما نزلت آية : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] .

(يابني كعب بن لؤى ، أنقذوا أنفسكم من النار . يابني عبد شمس ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يابني عبد مناف ، أنقذوا أنفسكم من النار . يابني عبد المطلب ، أنقذوا أنفسكم من النار . يافاطمة بنت محمد ، أنقذى نفسك من النار . فإني لأملك لكم من الله شيئاً)

وفي رواية : (يامعشر قريش ، اشتروا أنفسكم من الله ، فإني لأعغى عنكم من الله شيئاً ، يابني عبد المطلب ، لا أعغى عنكم من الله شيئاً ، ياعباس بن عبد المطلب لا أعغى عنك من الله شيئاً ، ياصفية عمة رسول الله لا أعغى عنك من الله شيئاً ،

يا فاطمة بنت رسول الله سليمان من مالى ما شئت ، لا أغنى عنك من الله شيئاً (*) .

وقوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة : ٥] ، أى نَحْصُصُكَ بالعبادة ولا نعبد سواك ، ونستعين بك فى أمور الدنيا والدين ، ولا نستعين بأحد غيرك .
وحدِيث : (**) « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » (١) .

لو تدبر هؤلاء المبتدعون تلك الآيات والأحاديث ، وراجعوا تفاسير الأئمة المحققين على تلك الآيات ، وشروح تلك الأحاديث ، شروح الأجلاء المعبرين .

لعلمو أن توسلاتهم بالرسول ، أو بالأنبياء والصالحين ليس لها أصل فى الدين .

(*)-حديث صحيح : أخرجه البخارى ومسلم .

(**) حديث صحيح : أخرجه الترمذى بسنده عن ابن عباس وقال : حسن صحيح ولمزيد من التخرىج يراجع كتاب « السنة لابن أبى عاصم » تحقيق الشيخ الألبانى وقد سبق تخرىج هذا الحديث .

(١) رواه الترمذى من حديث ابن عباس ، الذى أوله : (قال : كنت خلف النبى يوماً . فقال : يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك .. إلخ) . وقال الترمذى حديث حسن صحيح .

وأن الاستعانة بهم من الشرك والكفر المبين .

٣ - توحيد الأسماء والصفات :

وهو أن يعتقد العبد اعتقاداً جازماً أن ما أخبر الله به فى كتابه ، من أوصافه العليا وأسمائه الحسنى ، وكذا ما جاءت به الأحاديث الصحيحة من أسمائه وصفاته ، هى كما تليق بجلال الله وعظمته وكبريائه . فمن تلك الصفات :

صفة الحياة له - جلا جلاله - كما قال : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران : ٢] .

وصفة العلم ، كما قال الله تعالى : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

وقوله تعالى : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك : ١٤] .

وصفة الإرادة ، لقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس : ٨٢] .

والقدرة ، لقوله تعالى : ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الفتح : ٢١] .

والسمع والبصر ، لقوله تعالى : ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء : ١٣٤] .

والكلام ، لقوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] .

وقوله : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

والرحمة ، لقوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [البسملة : ٣٠] .

وصفة الحب ، لقوله : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة : ٥٤] .

واليدنين ، لقوله تعالى : ﴿ لَمَّا خَلَّطْتُ يَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥] .

والوجه ، لقوله : ﴿ وَيَتَقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٧] .

والاستواء على العرش ، لقوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ في سبع آيات من القرآن .

والنزول ، للحديث الصحيح : « ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا ، فينادى : هل من مستغفر فأغفر له ، هل من سائل فأعطيه ، هل من تائب فأتوب عليه » (*) .

(*) أخرجه البخارى ومسلم .

إلى غير ذلك من الصفات التى لا نستطيع حصرها فى عشرين صفة ، وحصرها فى عشرين من مبتدعات الخلف . بل ولا حصرها فى أكثر من عشرين ، وإنما الواجب الإيمان بكل ما ورد فى الكتاب والسنة الصحيحة من صفات الله وأسمائه . إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل .

والقول الشامل فى هذا الباب ، أن يوصف الله بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، وبما وصفه به السابقون الأولون ، لا يتجاوز القرآن والحديث .

فمذهب السلف حق بين باطلين ، بين باطل التمثيل وباطل التعطيل .

فالمشبه يعبد صنماً ، والمعتل يعبد عدماً ، والموحد يعبد إله الأرض والسماء (١) .

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

(١) ورحم الله ابن القيم ، حيث قال :

من شبه الله العظيم بخلقه
فهو النسب لمشرك نصراني
أو عطل الرحمن عن أوصافه
فهو الكفور وليس ذا إيمان

فصدر الآية تنزيه الله عن مماثلة المخلوقات ، وردّ على المشبه .
 وآخر الآية إثبات صفتي السمع والبصر ، في قوله : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ورد على المعطلة .
 فالسلف الصالح لا يمثلون صفات الله بصفات خلقه . كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه .

فالكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات . فكلما أن ذاته المقدسة لاتشبه ذوات المخلوقين ، فصفااته لاتشبه صفات المخلوقين .

فإذا قلنا : لله علم وللمخلوق علم ، كما قال في كتابه المجيد : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٠١] . وقال : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤] .
 وقال في حق المخلوق : ﴿ وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ [الذاريات : ٢٨] .

وقال عن نبيه يوسف : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٥٥] .
 فلا شك أن ليس علم الله كعلم يوسف أو إسحاق عليهما السلام .

ووصف نفسه بالراقة والرحمة . فقال : ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رُؤُوفٌ

رَحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٧] . وقال : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٣] .

وقال في حق الرسول - ﷺ - : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، غَزِيْرٌ عَلَيْهِ مَاعِيتُمْ ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

فليست رحمة الله كرحمة المخلوق ، ولا رافته كرافة المخلوق .
 ووصف نفسه بالسمع والبصر ، في غير ما آية من كتابه فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان : ٢٨] . وقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

وقال في حق المخلوق : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان : ٢] .
 ونحن لانشك أن مافى القرآن حق .

قلله سمع وبصر حقيقتان لاثنتان لجلاله وكاله . كما أن للمخلوق سمعاً وبصراً حقيقتين مناسبتين لحاله ، من فقره وفنائه .

وبين سمع وبصر الخالق ، وسمع وبصر المخلوق ، كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق .

ووصف نفسه بالحياة فقال : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران : ٢] .

وقال : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [غافر : ٦٥] .

ووصف بعض المخلوقين بالحياة ، فقال : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا ﴾ [الأنبياء : ٣٠] .

وقال : ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ ، وَيَوْمَ يَمُوتُ ، وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : ١٥] .

فليست حياة الخالق كحياة المخلوق .

وقال : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] .

وقال في حق المخلوق : ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى ﴾ [هود : ٤٤] .

فليس استواءه كاستواء السفينة على الجودي .

والحاصل أننا لا نتعدى القرآن والحديث ، ولا نؤول صفات الله الواردة في الوحيين بتأويلات الجهمية والمعتزلة القائلين : إن اليد بمعنى النعمة ، والإستواء بمعنى الاستيلاء^(١) . والوجه بمعنى

(١) احتجوا على ذلك بقول الشاعر :

قد استـوى بشر على العـرق
من غير سبـف ودم مـهـراق =

الذات . والرحمة بمعنى التفضل ونزوله بمعنى نزول أمره أو رحمته ، أو ملائكته .

وما أشبه ذلك من التأويلات الفاسدة ، النابعة من منابع الفلاسفة الضالين .

تلك التأويلات التي تؤول بالإنسان إلى الكفر ، وتحلل الشريعة العوبة بأيدي المبطلين والهدامين ، بحيث إنه لا يريد مبطل أن يهدم عقيدة أو حكماً شرعياً ، إلا وقد أتى من باب التأويل . وكفى بهذا قبحاً وضلالاً .

وعلى اعتقاد ما وصف الله به نفسه ، أو وصفه رسوله بما أتى في القرآن والأحاديث الصحيحة من غير تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل ، مضى عصر الرسول والصحابة والتابعين وتابعيهم من الأئمة لا المعتبرين ، كالإمام أبي حنيفة ، والإمام الشافعي ،

= والجواب : أن هذا البيت أولاً مصنوع لا يحتاج به . وثانياً : إن قالوا : استيلاء الله كاستيلاء بشر على العراق ، فهذا هو التشبيه بعينه . وإن قالوا : استيلاء الله يخصه على ما يليق به ، واستيلاء بشر كذلك ، فهلا أبقوا اللفظ القرآني ، وقالوا : استواءاً يليق بجلاله ولا مفر لهم من أحد هذين الأمرين .

انظر بحث الاستواء في « العلو » للذهبي ، وفي « الجيوش الإسلامية » لابن القيم ، وفي كتابي « العقائد السلفية » . فقد أتيت في بحث الاستواء بما لا مزيد بعده ، وفندت شبههم العقلية والنقلية والحمد لله على ذلك .

والإمام مالك ، والإمام أحمد بن حنبل ، والبخارى ومسلم ،
والترمذى وأبى داود ، والثورى ، وابن عيينه ، وغيرهم من
المحدثين والفقهاء المعتمدين ، والصوفية المحققين ، كالجنيد والجيلاني
وأبى نعيم واللغويين المحققين ، كالخليل بن أحمد ، وثعلب
وغيرهما .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، نسأل الله أن ينفعنا
وينفع إخواننا المسلمين بهذه الرسالة ، إنه سميع مجيب الدعاء ،
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
● مقدمة الناشر	٣
● مقدمة الطبعة العاشرة	٥
● خطبة الكتاب	٧
● توحيد الربوبية	١٤
● توحيد الألوهية	١٩
● تفسير العبادة	٢٢
● أول حدوث الشرك	٢٤
● سبب الشرك	٢٥
● أنواع العبادة وأدلتها	٢٩
● الركوع والسجود والنذر لغير الله	٣٦
● الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية	٤٢
● معنى لا إله إلا الله	٤٤

صدر حديثاً

الفتاوى النسائية

تأليف
محمد بن صالح العثيمين

مكتبة العلم

١٠ ش الشيخ علي الغلياني - خلف مسجد الجمهورية - القاهرة

- نواقض الإسلام ٤٦
- بيان بعض البدع ٥٠
- لا واسطة بين الخالق والمخلوق ٥٦
- أدعية الرسل ٦١
- إثبات الشفاعة للرسول ٦٥
- حجج المبتدعة في جواز التوسل والاستغاثة ٦٦
- الرد على حجج المبتدعين وتفنيدها ٦٩
- حديث القلب ٧٢
- توحيد الأسماء والصفات ٨٣
- الفهرس ٩١